الاب حنا نوماباه

الدكتور في العلوم الكنسية الشرقية

مستشار اللجنة الطقسية البطريركية

رئيس الرسالة السريانية

طرابلس - لبنان

اللغة السريانية وأئمتها

في القرنين الرابع والخامس

عشر محاضرات أذيعت عن راديو بيروت

نشرتها مجلة المنارة المارونية

جونيه - لبنان

طبع باذن الرؤساء

يُطلب من المؤلف

يوصد ريعه لمشاريع الرسالة السريانية الجديدة في طرابلس

المقدمة

في اواخر سنة ١٩٤٥ كلفتني ادارة محطة الاذاعة في بيروت لالقاء بعض محاضرات عن الآداب المسيحية السورية او السريانية كما ندعوها اليوم.

ولقد اعتذرت اولاً لكثرة الاشغال ونظراً الى بعد المسافة بين بيروت ومدرسة الشرفة الاكليركية حيث كان قد عهد الي الرؤساء الاجلاء منذ ثماني سنوات تدريس الآداب العربية والسريانية والليترجيات والحق القانوني علاوة على الاشغال الادارية. ولكني قبلت اخيراً هذه المهمة الغالية نزولاً عند رغبة بعض الاصدقاء وفي مقدمتهم حضرة الخورفسقفوس افرام جرجور رئيس كهنة كاتدرائية مار جرجس.

ولما كانت هذه المحاضرات قد لاقت قبولاً واستحساناً لدى المستمعين الكرام فقد رغب اليّ فريق منهم ان انشرها تعميماً للفائدة. وقد عهدت بذلك الى ادارة مجلة المنارة الغراء لسان حال البطريركية المارونية الجليلة. وقد تلطف حضرة الاب انطون الشمالي الرفيق والصديق القديم في المعهد الشرقي برومة. وشاء ان يطبع منها نسخاً على حدة. وبذلك استحق شكر القراء وشكري واخلاصي.

ويسرني ان اصرّح اني مع مراعاة الطريقة العلمية لهذه الابحاث قد توخيت خاصة سكبها في قالب من المرونة والبساطة بحيث يسهل مطالعتها على لفيف القراء.

ولي وطيد الامل ان من يطالع هذه المحاضرات سيزداد رسوخاً في ايمانه وتعلقاً بالكنيسة وتقاليدها واعتباراً للغة الارامية السريانية، لغة هذه البلاد الاصلية ولغة السيد المسيح ووالدته ورسله.

وكيف لا يزداد رسوخاً في الايمان عندما يرى ان الكنيسة المؤسسة على الصخرة البطرسية لا تزال ثابتة على المعتقدات الموروثة عن الرسل، هذه المعتقدات التي بشر بها السيد المسيح، ومات من اجلها الشهداء وشرحها الملافنة العظام جيلاً بعد جيل.

واذا كنت قد ذكرت ما علمه ملافنة الكنيسة السريانية عن بعض العقائد بنوع خاص فذلك نظراً الى اهميتها في ايامنا الحاضرة، مثل عقيدة التجسد والاتحاد الاقنومي، والاسرار السبعة والرئاسة البطرسية وطهارة مريم العذراء الدائمة وامومتها الالهية الخ...

واني لواثق من ان جميع المسيحيين الذين يطالعون هذه الصفحات سيشعرون معنا بضرورة الوحدة المسيحية التي كانت امنية السيد المسيح الاخيرة: (١) «يا ابتِ، هؤلاء الذين اعطيتني اريد ان يكونوا واحداً كما نحن واحد».

واذا كان انشقاق المسيحيين ولا يزال مناقضة فلسفية وتاريخية وخطيئة وحجر عثرة وبلية كبرى فالاتحاد وحده يضمن انتصار الانجيل.

وهذا الاتحاد يكون قريب المنال متى تشرب المسيحيون من تعاليم الآباء الذين تكرمهم كل الكنائس. فهم اذاً قادة لنا في هذا المضمار فلنصغِ الى اقوالهم ولنسعَ سعياً متواصلاً مخلصاً الى الهدف المنشود.

ويسرني ان اختم بهذه الفقرة من الصلاة المعروفة لاجل اتحاد الكنائس:

«ايها الرب الاله... اننا نبتهل اليك من اجل اخوتنا المسيحيين، واذ نذكر المقام الذي يحق لهم في بيعتك المقدسة، نتضرع اليك ان تلهمهم جميعاً السعي للبلوغ اليه. اجعلهم يتشربون تعاليم آبائهم وآبائنا في الايمان...»

الاب حنا نو ساماره

---

(١) يوحنا ١٧ - ١١

اللغة السريانية

قدمها وامجادها

القيت من راديو الشرق ، الأحد في ٤ ت٢ ١٩٤٥ (١)

توطئة

دُعيت لالقاء محاضرات دينية يدور محورها على ابناء البيعة السريانية . وفي اعتقادي انكم تغتبطون اذا اطرفتكم باخبار اجدادكم الاقدمين واوقفتكم على شيء من مناقبهم ومآثرهم ، واطلعتكم على ما خلفوه من التآليف البديعة النادرة . فتفرغوا الجهود في الاقتداء بمثالهم وتستفيدوا مما ابقوه من التراث الثمين . وقد احببت ان اصدر تلك المحاضرات بكلمة عن اللغة السريانية الشريفة لغة اللبنانيين والسوريين في عهد مضى (٢)

---

(١) لما كنا قد تلقينا رسائل التأييد والتحبيذ من بعض الاصدقاء رأينا ان نبقي النص الاصلي على حاله، انما زيادة للوضوح وتتميماً للفائدة علقنا عليه بعض الحواشي التي لم يكن آنئذ بالامكان اضافتها نظراً لضيق المجال وقصر الوقت .

(٢) ذهب قوم من القدماء الى ان اللغة السريانية هي اقدم لغات العالم ، وقال آخرون لا بل العربية . والرأي الارجح والاصح هو ان اللغة السامية الاصلية قد اندثرت واضمحلت وبقيت مشتقاتها ومنها السريانية والعربية والكنعانية والفينيقية الى آخره ، كما سنبين ذلك في الجدول الملحق بهذه المحاضرة .

واذا اعتبرنا اللغات السامية من حيث الانتشار والازدهار ، فقد شاعت اولاً في بلاد الشرق اللغة البابلية منذ اقدم العصور الى حوالي الالف الاول قبل المسيح؛ ثم حلت محلها اللغة الارامية السريانية كلغة التجارة والتداول من تخوم بلاد فارس الى وادي النيل ، وبقيت زاهرة الى ان تغلبت عليها العربية منذ القرن السابع على اثر الفتح الاسلامي؛ وما كادت هذه اللغة تنتشر حتى قضت او كادت تقضي على اللغة السريانية ؛ ومكثت هذه لغة الطقوس الكنسية ولاذت ببعض الارياف والجبال كطورعبدين وضواحي الموصل وبعض قرى الشام كمعلولا وجبعدين ونجعة حيث لا تزال محكية الى ايامنا .

١ ـــ اصل السريانية وذيوعها

اللغة الارامية السريانية هي احدى اللغات السامية الشهيرة[1]، واقدمها عهداً وارفعها شأناً واكثرها ذيوعاً وانتشاراً . فقد كانت زمناً اللغة الرسمية للدول القديمة كآثور وبابل وفارس ودمشق وجبيل وصور وصيدا والرها وما انطوت عليه من الدول الثانوية . وبهذه اللغة الشريفة نزل جانب من الكتاب الكريم على قلوب اولياء الله عزّ وجلّ . وبها تكلم السيد المسيح ووالدته المغبوطة ورسله الحواريون وتلامذته السبعون . وبها انشئت اقدم الطقوس والصلوات في البيعة النصرانية . وكانت بالاجمال اللغة الطقسية والوطنية للبطريركية الانطاكية الواسعة الارجاء كالبطريركية المارونية والملكية والسريانية الغربية والشرقية .

زيدوا عليه ان اللغة السريانية كانت لغة قبائل شتى استوطنت اولًا بلاد ما بين النهرين بين دجلة والفرات . ثم انتزحت الى بلاد سوريا ولبنان وفلسطين وعلى رأسها ابراهيم ابو الاباء الذي استعمر دمشق العاصمة واورشليم المقدسة . والى اعلام السريان وهم الفينيقيون المشاهير يعود الفضل في استنباط الحروف الابجدية . وهم الذين لقنوها البشر ونقلوهـا الى بلاد اليونان والرومان وغيرها فافادوا واستفادوا اغزر الفوائد .

ظلت السريانية ذائعة شائعة في بلاد المشرق حتى القرن السابع . ثم اخذت في التقهقر فامست اللغة الطقسية للموارنة والروم الملكيين والسريان الغربيين والشرقيين . وما برحت السريانية لغة النصارى والمسلمين في بعض قرى دمشق كمعلولا وَجبعَدين وَبخعَة وفي طورعبدين وفي قرى الموصل حتى اورمية ببلاد فارس .

وما فتئت آثار السريانية راسخة في الاصقاع اللبنانية والسورية، خصوصاً

(١) نسبة الى سام بن نوح الجد الاعلى للشعوب السامية على ما جاء في الكتاب المقدس (تكوين ١٠) وارامية نسبة الى آرام خامس ابناء سام (تكوين ١٠ : ٢٢)

في اعلامها المبتدئة بلفظة ܒܝܬ نحو بكركي، بتدين، بكفيا، برمانا، بسكنتا، بزمار الخ... والمبتدئة بلفظة ܟܦܪ باسكان الكاف نحو كفرحي، كفرحبو كفرطاب، كفرسلوان... وقيسوا عليها لهجة اللبنانيين والسوريين نصارى ومسلمين؛ منهم في حديثهم يسكنون اول اللفظ في قولهم : صْغير، كْبير، جْميل، حْبيب، مْليح · ويسكنون كذلك اول الماضي وآخره فيقولون: باع، تكلم، ذهب، قال · هذا عدا ما يستعملونه من الاسماء النصرانية الدينية· وهي وافرة جداً نحو : قسيس، شماس، ملفان، قديس، قربان، برشان، فاروق، شبوق الخ...

٢ ــ اللغة الارامية السريانية

ادعى فريق من علماء الافرنج ان الارامية اسم شامل لكل اللهجات السريانية التي كانت شائعة في بلاد المشرق حوالي الف سنة قبل المسيح وبعده · وقالوا ان لفظة اللغة السريانية لا ينبغي ان تطلق الا على لهجة خاصة من بلاد ما بين النهرين اعني الرها وما يتبعها، وقد كانت عاصمة الادب المسيحي السرياني الذي لا تزال آثاره باقية الى ايامنا، ومن اشهر اعلامه مار افرام ومار يعقوب ومار اسحق ملافنة البيعة السريانية؛ وحجتهم في ذلك هي ان لفظة سريانية لم ترد في في الكتاب المقدس الذي يسمي دائماً هذه اللغة آرامية والمتكلمين بها آراميين ·

غير ان علامتنا السرياني المطران يوسف داود رئيس اساقفة دمشق (+ ١٨٩٠) فند مراراً هذه الاغلاط واثبت جلياً ان الامة السريانية جمعاء شرقاً وغرباً تسمى عند اهلها طوراً ارامية واحياناً اشورية او سورية · وان اسم السريانية ليس الا اختصار وتحريف اسم اثورية الذي تناوله اليونان بعد الفتح الاسكندري وقلبوا ثاءه الى سين ثم اشتقوا كلمة ارابية (Arabia) للدلالة على بلاد العرب ·

غير ان الاراميين القدماء لما اعتنقوا الديانة المسيحية اهملوا اسمهم القديم

وتسموا باسم السريان تمييزاً لهم عن الاراميين الوثنيين . فاصبح الاسم السرياني للدلالة على المذهب لا على الشعب . ولذلك فان مترجم العهد الجديد الى السرياني كلما وجد في النص اليوناني لفظة الوثني بمعنى الصابئ او الغير اليهودي عبر عنها بالسريانية بلفظة آرامي (ܐܪܡܝܐ) وهذا رأي العلامة الافرنسي رينان والبحاثة الانكليزي رايت .

٣ — امجاد السريانية

لا غرو ان السريانية جديرة بكل اعتبار وجلال ذلك لما احرزته من نفوذ لم تحرزه غيرها من اللغات البشرية . فهي بلا ريب لغة ابراهيم الخليل جد الاسرائيليين . فقد كان ابو الاباء هذا آرامياً سريانياً لغة وجنساً ووطناً وما برح الاسرائيلي يقرر في صلاته مصرحاً بقوله على ما جاء في كتاب تثنية الاشتراع : «كان ابي آرامياً تائهاً»[١] . ولما قدم ابراهيم الى ارض كنعان تناسى لغته الارامية الاصلية وجعل يتكلم باللغة العبرية، لغة الكنعانيين سكان فلسطين في ذلك العهد[٢] . بيد ان حفدة ابراهيم عادوا فتلقنوا لغة اجدادهم السريانية في بابل منذ القرن السادس قبل الميلاد، ولما رجعوا الى فلسطين ظلوا يتحدثون بها حتى القرن الخامس او السادس بعد الميلاد.

وباللغة السريانية الشريفة نزلت فصول من نبوة دانيال[٣] وبها كتب جزء من سفري عزرا[٤] ونحميا وبعض المقابيين . ورأي اغلب المؤرخين الثقات هو ان متى الرسول كتب انجيله اول بدء بالسريانية ثم نقل الى اليونانية .

ولما هبط السيد المسيح عزّ شأنه من السماء كان يتحدث هو وامه

(١) ٢٦ : ٥ ويهوديت ٥ : ٦

(٢) تكوين ١١ : ٣١ و١٢ : ٥

(٣) من ١١ : ٤ — ٨ : ٢٨

(٤) من ٤ : ٨ — ٦ : ١٨ ومن ٧ : ١٢ — ٢٦ ، وآية من ارميا ١٠ : ١١ وكلمتان من تكوين ٣١ : ٤٧

العذراء الجليلة ورسله الاصفياء باللغة السريانية . وقد اطلق عليها الربانيون علماء اليهود لفظة « ترجوم » او سموها « عبرانية » لا لكونها عبرانية بل لان اليهود كانوا يومئذ يتكلمون بها . ومثلها في ذلك مثل اللغة العربية في مصر اذ يسميها العامة « مصرية » وهي عربية محضة . تلك حقيقة راهنة ثابتة حسبنا برهاناً على صحتها آيات والفاظ سريانية بحتة لفظها السيد المسيح ورسله واثبتها كاتبو العهد الجديد - ومترجموه - بحرفيهما الواحد ، نحو : ܛܠܝܬܐ ܩܘܡܝ، ܐܬܦܬܚ، ܟܐܦܐ، ܒܪܬܘܠ، ܒܝܬ ܚܣܕܐ، ܐܝܠܝ ܠܡܢܐ ܫܒܩܬܢܝ . قس على ذلك اسماء اعلام وعبارات سريانية وردت في اعمال الرسل وفي رسائل مار بولس اخصها عبارة : ܡܪܢ ܐܬܐ وهلم جراً[1] .

ولا مشاحة ان اللغة السريانية هي باكورة اللغات الطقسية في الكنيسة النصرانية . فيها احتفل اباؤنا الرسل باول قداس في العلية الصهيونية . وبها اجروا حفلات السيامة الكهنوتية وسائر الفروض الدينية والاسرار المقدسة . وكل يعلم ان اول بيعة انما تأسست في قلب اورشليم يوم كان اهاليها طراً لا يتكلمون الا السريانية . ومن اورشليم انتشرت تلك الرتب والطقوس وذاعت في البلاد الغربية والشرقية . ثم نقلت الى اليونانية واللاتينية والى غيرها من اللغات . زيدوا عليه ان السريانية واليونانية واللاتينية هي اللغات الثلاث التي قدستها التقاليد البيعية وعرفت بلغة الآباء الرسمية «Patrologia» . وفي تلك اللغات الثلاث صُنفت العلوم اللاهوتية والمباحث الجدلية والفلسفة والاصول الكتابية ، هذا ما حدا اقطاب الدنيا

(١) لا مشاحة ان السيد المسيح تكلم اللغة السريانية بلهجة فلسطين وهي تختلف قليلاً من سريانيتنا الحاضرة التي اتتنا من الرها . ولكن هذا الاختلاف ثنوي يوجد في كل لغات العالم ولا يغير الحقيقة الراهنة من كون لغة المسيح كانت السريانية الارامية . وفي فلسطين نفسها كانت الارامية ذات لهجات متعددة على ما اعلمنا الانجيل الشريف (متى ٢٦ : ٧٣) .

على استنهاض همم العلماء ليدرسوها وينشروا تصانيفها ، وفي طليعتها مجموعة الكتاب المقدس التي طبعت في عاصمة فرنسا في القرن السابع عشر ومجموعة الاباء السريان والشرقيين التي بوشر نشرها في باريس منذ نصف قرن ونيف (١) .

٤ — اقدم الآثار السريانية

واقدم اثر سرياني انما ورد في سفر التكوين ويرتقي عهده الى حوالي الالف الثاني قبل الميلاد وهو مؤلف من كلمتين سريانيتين تبرهنان ان لغة لابان شقيق رفقا قرينة اسحق بن ابراهيم كانت السريانية . ذلك ان لابان سمى الرجمة التي اقامها بعد خصامه مع يعقوب ابن اخته «ܝܓܪ ܣܗܕܘܬܐ» في السريانية اي رجمة الشهادة بينما سماها يعقوب في لغة العبرية الجديدة

(١) لا غرو ان اللغة اليونانية حلت محل اللغة السريانية منذ فجر النصرانية في كنائس كثيرة ولاسيما في المدن الساحلية حيث تغلغل النفوذ اليوناني كانطاكية وصور وصيدا وبيروت والاسكندرية وغيرها ، وبهذه اللغة كتب كثير من اباء الكنيسة الشرقية ، نذكر منهم : مار اغناطيوس ومار باسيليوس ومار قورلس ومار غريغوريوس ومار اثناسيوس ومار يوحنا فم الذهب وغيرهم . وكانت اليونانية لغة المجامع الكبرى . ولكن اليونانية لغة غريبة غريبة دخلت بلادنا على اثر الفتح الاسكندري وزحزحت لغتنا القومية السريانية في كثير من مرافق الحياة كما سيطرت في ايامنا اللغة الافرنسية . وكم من شباننا وشاباتنا لا يمكنهم الصلاة وقضاء فروض العبادة الا بالافرنسية . بل وكم من المؤتمرات العلمية والطبية وغيرها من الاجتماعات لا يتكلم فيها الخطباء الا باللغة الافرنسية ؟

وكان الطقس الانطاكي القديم يقضى باللغة اليونانية في المدن الساحلية وباللغة السريانية في المدن الداخلية والارياف . يشهد بذلك كتاب الرسومات الرسولية (Constitutiones apostolicæ) وغيره من الآثار القديمة التي لا مجال لذكرها الآن . ولما اضطر اليونان على مغادرة هذه البلاد على اثر الفتح الاسلامي تقلصت لغتهم ايضاً وحلت السريانية محلها في كل مكان ، وفي كل الكنائس الشرقية من يعقوبية وارثوذكسية اعني رومية ملكية . ولكن اليونان وفي مقدمتهم بطاركة القسطنطينية عادوا الكرة منذ القرن الحادي عشر والزموا اشياعهم الملكيين على قبول ليس فقط اللغة اليونانية بل والطقس البيزنطي ايضاً الذي اخذ رويداً رويداً يتغلغل في كنائس الروم الملكيين ويحل محل طقسهم الانطاكي القديم الذي هو مصدر طقوسنا الشرقية كلها من سريانية ومارونية وكلدانية الخ . . .

جل عيد [1]

ثم ان سليمان الملك لما اعطى حيرام ملك صور اللبناني عشرين قرية من ارض الجليل ولم تحسن في عينيه، لم يتمالك حيرام من ان يقول لسليمان: « ما هذه المدن التي اعطيتني يا اخي ؟ وسماها « كابولي» في السرياني، واراد بها ارضاً ذات اشواك لا تصلح لشي. [2] (ܟܒܘܠ ܟܐ). الا انه لسوء الطالع لم يصل الينا من الاثار السريانية السابقة لعهد الميلاد الا النزر اليسير، منها نقوش حجرية يرتقي عهدها الى القرن الثامن والتاسع قبل الميلاد. نذكر من ذلك كتابة اكتشفت في زنجرلي على شط الفرات (قرب جرابلس) وكتابة ثانيـــة اكتشفها المسيو بونيون القنصل الفرنسي الشهير في حماة . وكتابة ثالثة اكتشفت في قرية موجان قرب حلب، حوت اسم ملكين من ملوك كنك وارفاد السريان . وقد وصل الينا كذلك بعض ابيات شعرية لفيلسوف سرياني يقال له وفا . وكتابات منقوشة على اضرحة الاباجرة ملوك الرها . ورسالة لمارا بن سرفيون كتبها في اواسط القرن الثاني للميلاد.

ويمتاز الادب السرياني بكونه ادباً مسيحياً بل كنسياً . وما وصل الينا منه انما هو ثمرة عقول انضجها ايمة مسيحيون وادباء اكليركيون . ذلك لان اجدادنا المسيحيين سبقوا فاحرقوا كل الكتب والآثار المدنية والعلمية ولاسيما السحرية كما جاء في اعمال الرسل . ثم اتلف ملوك الروم واليونان والعرب الشيء الكثير مما صنفه اجدادنا السريانيون كما هو معلوم مشهور ، وعلى رغم ذلك كله فقد صينت منذ القرن الثاني للميلاد بعض آثار سريانية في طليعتها كتاب الدياطسرون ، اعني الاناجيل الاربعة التي سبكها ططيان تلميذ يوسطين في انجيل واحد . ثم جاء القرن الثالث

(١) تكوين ٣١ : ٤٧ . من اغرب التقاليد الشعبية انه لا تزال في بعض بلاد ما بين النهرين كماردين مثلاً تستعمل لفظة «ياغر» للدلالة على الحائط الصغير . وفي لبنان لفظة «جل» تدل الى ايامنا على الحائط الصغير في الحقل .

(٢) تكوين ٣١ : ٤٧

والرابع فذاعت تصانيف ائمة السريان في الاقطار ولاسيما تصانيف ابينا مار افرام الملفان الكبير وغيره من الجهابذة، ممن سنأتي على ذكر بعضهم في محاضراتنا القادمة ان شاء الله .

والآن اليكم اوجه النداء ايها السامعون الكرام الاحباء، وقلبي يشعر بالم شديد لما آلت اليه لغتنا القومية الطقسية الشريفة . فاننا نشاهد الكثير يتبارون ويتسابقون في اتقان لغات شرقية وغربية ويغمضون عن درس لغتهم الاصلية المجيدة . وهم يعلمون ان النبوغ اللبناني لا يعوقه عائق عن استعادة تراثه القديم الثمين .

فاللبنانيون نشأوا منـــذ قرنين فدرسوا العربية واتقنوها وانعشوها وروجوا اسواقها في سوريا ولبنان وفي وادى النيل وفي العالم الجديد . ثم احكموا اللغة الفرنسية كذلك وصنفوا فيها الكتب جمة . فعلامَ لا نفرغ السعي في درس لغتنا اللبنانية السورية الاصليـة ؟ عرفنا ان الصهيونيين بعثوا لغتهم العبرانية من رمسها وجعلوها لغة حية لها صحفها السيارة وكتبها وآدابها فعلامَ لا نحذو حذوهم ؟

لقد امتاز الادب السرياني كما قلنا بكونه ادباً مسيحياً بيعياً ، وكان اغلب ابطاله من الطغمة الكهنوتية . فلمَ لم ينهض اكليرسنا ورهباننا فينسجون على منوال الاجداد الصالحين ويعيدون الى ربوعنا لغتهم الوطنية القومية ؟ وما الذي يقعدهم عن ذلك يا ترى ؟

لقد سمعنا مراراً نيافة الكردينال جبرائيل الاول تبوني بطريركنا المغبوط يحرض اولاده الكهنة على المحافظة على اللغة السريانية الشريفة وتلقينها في المدارس وتأليف اجواق المرتلين لمساعدة الكهنة في الخدمة الالهية . ومن مظاهر عنايته بهذه اللغة انه بذل مالا وافراً لاقتناء المخطوطات السريانية واهداها الى مكاتب الشرفة والبطريركية ولاسيما الى مكتبة الفاتيكان الشهيرة . وزاد على ذلك انه الف لجنة طقسية بطريركية غايتها الاعتناء بترتيب الطقوس السريانية ومراجعة الطقوس البيعية ونشرها

رويداً رويداً. ولقد نشطت هذه اللجنة ونشرت اولاً كتاب الاشحيم . والان تعنى بنشر كتاب الحفلات البيعية (معدعدون) وكتاب جناز الاحبار والكهنة.

ولا تقل عناية البطريرك افرام برصوم بهذه اللغة، وقد نشر عن آدابها كتاباً قيماً باللغة العربية .

اننا نتباهى ونفتخر كل الافتخار بان عميد لبنان الكبير وامامه المجيد البطريرك الانطاكي مار انطون بطرس عريضه يتكلم جيداً بلغتنا السريانية ويجيد الكتابة بها ويحرض ابناءه على دراستها . فعلام لا نصغي الى تحريضه؟ اذكروا ان شيوخكم يقرأون السريانية والكرشونية حتى يومنا . فما بالكم لا تحببون انتم لغة اجدادكم الى ابنائكم وشبانكم لينهضوا نهضتهم فيعيدوا الى الحفلات البيعية رونقاً جميلاً جديداً يستحقون لاجله اجمل الاثنية.

علّموا اذاً السريانية . علّموها شبانكم وشاباتكم، علّموها في المدارس وفي البيوت ، علموهم ان يؤلفوا اجواقاً وصفوفاً ينشدون التسابيح الالهية والترانيم البيعية في الكنائس وفي البيوت على مثال امامنا العظيم مار افرام قيثارة الروح القدس الذي ساحدثكم عنه ان شاء الله في المحاضرة التابعة. فالى اللقاء[١] .

---

(١) نذكر بعض المصادر لمن يهمهم التعمق في هذا الموضوع :

المطران يوسف داود : مقدمة الغراطيق السرياني طبعة الموصل .

» » » : كتاب القصارى في حل ثلاث مسائل تاريخية تتعلق ببلاد الشام وما يجاورها، بيروت ١٨٨٧ .

الخورفسقفوس اسحق ارملة : الملكيون : بطريركيتهم الانطاكية ولغتهم الوطنية والطقسية بيروت ١٩٣٦ . طالع في مجلة الاثار الشرقية سنة ١٩٣٦ مقالتين لبطريرك افرام رحماني عن سورية وبلاد آثور .

P. Dhorme : Langues et écritures sémitiques, Paris, 1930.

Meillet : Les langues du monde, Paris, 1924.

Lagrange : Études sur les religions sémitiques.

ومعجم الكتاب المقدس، ومعجم العاديات المسيحية والطقوس بالافرنسية

D. B. de Vigouroux et D. A. C. L. Dom Cabrol et D. Leclercq.

مقارنة اشتقاق الاحرف الابجدية
في اللغات الساميّة والاوروبية

فونيقي	سطرنجيلي	كلداني	سرياني	عبراني	يوناني	لاتيني	عربي
𐤀	ܐ	ܐ	ܐ	א	Α	A	ا
𐤁	ܒ	ܒ	ܒ	ב	Β	B	ب
𐤂	ܓ	ܓ	ܓ	ג	Γ	C	ج
𐤃	ܕ	ܕ	ܕ	ד	Δ	D	د
𐤄	ܗ	ܗ	ܗ	ה	Ε	E	ه
𐤅	ܘ	ܘ	ܘ	ו	Υ	U	و
𐤆	ܙ	ܙ	ܙ	ז	Ζ	Z	ز
𐤇	ܚ	ܚ	ܚ	ח	Η	H	ح
𐤈	ܛ	ܛ	ܛ	ט	Θ		ط
𐤉	ܝ	ܝ	ܝ	י	Ι	I	ي
𐤊	ܟ	ܟ	ܟ	כ	Κ	K	ك
𐤋	ܠ	ܠ	ܠ	ל	Λ	L	ل
𐤌	ܡ	ܡ	ܡ	מ	Μ	M	م
𐤍	ܢ	ܢ	ܢ	נ	Ν	N	ن
𐤎	ܣ	ܣ	ܣ	ס	Ξ	S	س
𐤏	ܥ	ܥ	ܥ	ע	Ο	O	ع
𐤐	ܦ	ܦ	ܦ	פ	Π	P	ف
𐤑	ܨ	ܨ	ܨ	צ			ص
𐤒	ܩ	ܩ	ܩ	ק	Φ	Q	ق
𐤓	ܪ	ܪ	ܪ	ר	Ρ	R	ر
𐤔	ܫ	ܫ	ܫ	ש	Σ		ش
𐤕	ܬ	ܬ	ܬ	ת	Τ	T	ت

المحاضرة الثانية

مار افرام

ملفان الكنيسة الجامعة ، وكنارة الروح القدس

جبار ، نابغة

(محاضرة القيت من راديو الشرق الاحد في ١١ ت٢ ١٩٤٥)

ايها السامعون الكرام

مهّدنا في محاضرتنا الاولى للأدب السرياني وخواصه . والان ننتقل الى صميم الموضوع ، فنحدثكم عن اعظم آباء البيعة السريانية علماً وقداسة ، بل نابغتهم وامامهم بلا منازع . نادرة زمانه ، وامام ائمة عصره ، ومفخرة بلادنا الشرقية ، وكنائسنا المارونية والسريانية : الا وهو القديس افرام كنارة الروح القدس كما ندعوه نحن ، وملفان الكنيسة الجامعة كما اعلنه السعيد الذكر البابا بندكتوس الخامس عشر . وقد اصدر براءة خاصة مؤرخة في ٥ ت١ سنة ١٩٢١ في هذا الشأن بها قرّظ القديس افرام اعظم تقريظ وعين اليوم الثامن عشر من حزيران تذكاراً عمومياً تحتفل به جميع الكنائس شرقاً وغرباً . ومار افرام هو الثاني والعشرون بين ملافنة الكنيسة الجامعة ادناهم في الرتب الكنسية ، ومن اسماهم علماً وفضيلة . ولقد اجاد مار يعقوب السروجي العلامة والملفان الثاني في كنيستنا بعد مار افرام اذ قال عنه بكل صواب : « ان مار افرام هو تاج الامة الارامية السريانية ، وبه توصلت الى المحاسن الروحانية »[1]

(١) طالع ما نشره الاب بولس بيجان في اخبار الشهداء والقديسين الجزء الثالث ، ص ٦٦٥ - ٦٧٩ .

مار افرام «اول ملفان مريمي» في الكنيسة



«لا عيب فيك يارب ولا شائبة في والدتك»

الميامر النصيبينية
طبعة بيكل صفحة ٤٠

١ ترجمة حياته

لاح هذا النبراس اللامع في مدينة نصيبين في صدر القرن الرابع، قرن الوحدة الكنسية الذهبي، والنبوغ اللاهوتي والكتابي والطقسي . وكان ابوه من بلدة الرها، وامه من ديار بكر . ومنذ نعومة اظفاره حلّت عليه يد العلي وهيأته ليكون معلماً حاذقاً، ومؤلفاً كبيراً ماهراً كما اشار هو بعينه اذ قال في وصيته[1] : « لما كنت طفلاً رايت في الرؤيا جفنة ثابتة في لساني، حافلة بربوات من العناقيد، وربوات الربوات من الخُصل، وشاهدت طيور السماء جاثمةً فوقها تلتقط عنبها . وكانت كلما التقطت من العنب ازداد وفرة وكثرة . »

وتُنضح افرام بماء المعمودية وهو في مقتبل الكهولة كعادة ذلك العصر . وتلمذ للقديس يعقوب اسقف نصيبين الذائع الصيت علماً وقداسة، وارتشف من مناهل فضائله وتعاليمه افاويق العلوم والآداب الصحيحة . فرقاه الى الدرجة الدياقونية، وعهد اليه بادارة مدرسة نصيبين الشهيرة فاخلص الخدمة لربه واسقفه وتلامذته . وفي هذه البلدة صنف باكورة تآليفه المعروفة بالنصيبينية .

ولما كانت نصيبين تخوم الامبراطورية الرومانية شرقاً فقد توالت عليها هجمات الفرس، وعانت اهوال الغزو والخراب مراراً جمة الى ان سقطت في ايديهم سنة ٣٦٣ . فتحولت آنئذ من مدينة عامرة، وعاصمة مسيحية زاهرة الى كومة من الانقاض والدمار . ذلك ان السواد الاعظم من مسيحييها لما استيقنوا ما سيحل بهم من الغوائل آثروا الجلاء عن وطنهم ومنازلهم والالتحاق ببلاد الدولة الرومانية . هو التاريخ يعيد نفسه .

---

(١) نشرها بالنص السرياني العلامة اوفربك Overbek سنة ١٨٦٥ ، وكذلك الاب بولس بيجان ، والسيد اغناطيوس افرام رحماني في مجلة الآثار الشرقية سنة ١٩٢٧ ص ١٧٤ — ١٨٥

وكان مار افرام وتلاميذه في جملة الذين تركوا نصيبين وطنهم وانحازوا الى بلاد المملكة الرومانية المسيحية وساروا تائهين حتى استقرت بهم الاقدام في مدينة الرها عاصمة الاباجرة ومعقل الادب السرياني المسيحي .

ولقد تجلت قداسة ابينا مار افرام وتلألأت عبقريته في هذه المدينة حيث اسس مدرسة عرفت بمدرسة الفرس نسبةً الى مديريها وتلامذتها . وعاش مار افرام عيشة نسكية منقطعاً في اغلب الاوقات الى الجبال يقضي نهاره في التعليم وتلقين الالحان ويصرف ليله في الصلاة والتآليف . وعاش على هذا المنوال عشر سنوات كانت من اخصب سني حياته . وفاح عرف قداسته وعلمه في اقطاب الشرق والغرب وهو بعد في قيد الحياة . ورقد رقاد الابرار في ١٨ حزيران عام ٣٧٣ ودُفن جثمانه الطاهر في مقبرة الغرباء طبقاً لوصيته[1] .

(١) لقد افرزت الكنيسة السريانية في كلندارها اياماً كثيرة اكراماً لملفانها المعظم القديس افرام . نخصّ منها بالذكر اليوم الثامن عشر من حزيران ، يوم وفاته ، وفيه تعيد له الكنيسة اللاتينية . ثم اليوم الثامن والعشرين من كانون الثاني وفيه ايضاً يقع تذكار هذا القديس عند الروم الملكيين والموارنة . ونرجح ان هذا العيد هو من اقدم اعياد القديس افرام ، ان لم نقل اقدمها : اولاً لكونه مشتركاً بين الطوائف الثلاث الرومية والمارونية والسريانية مما يجعلنا نخاله سابقاً لعهد الانشقاق ، ثانياً لانه ورد في اقدم الكلندارات الشرقية ، وثالثاً لان قسماً كبيراً من البطريركية الانطاكية كان يجعل اعياد ملافنة البيعة بين عيد الدنح والصوم الكبير كما هو جارٍ الى ايامنا عند النساطرة خاصة . ويأتي ايضاً ذكر مار افرام في كثير من الكلندارات السريانية وغيرها في اليوم الاول من شباط وفي التاسع عشر منه مع ذكر القديس اسحق الانطاكي . الا ان العيد الاكثر شهرة في ايامنا الحاضرة عند السريان هو يوم السبت الاول من الصوم الاربعيني ، وهو عيد بطالة ويأتي فيه ايضاً ذكر مار تئودوروس الشهيد . وهذا العيد حديث العهد على ما تحققنا من مطالعتنا المخطوطات القديمة ، يرتقي عهده الى ما بعد القرن الرابع عشر . ويغلب على ظننا انه لما كانت بعض اعياد مار افرام المذكورة آنفاً تقع احياناً في الصوم الكبير وشريعة الصوم القديمة تحول دون الاحتفال بذكر القديسين ، قرّ رأي الاباء في الاجيال الوسطى ان يثبتوا ذكر مار افرام في السبت الاول من الصوم — وفي السبوت تجوز الاحتفالات — (طالع مؤلفنا « السنة الطقسية في الكنيسة السريانية » (بالافرنسية) الجزء الثالث ، الفصل الثالث عشر : اعياد القديسين في الصوم الكبير .

٢ً : تآليف مار افرام الملفان

اما تآليف مار افرام فهي لعمري بحر خضم زاخر لا يُسبر غوره ولا تدرك اطرافه . قال سوزومن المؤرخ اليوناني الشهير « ان مار افرام صنف اكثر من ٣٠٠ مليار بشعر . » وصرح فوتيوس ان السريان يعتقدون ان ميامر قديسهم الكبير أربت على الف ميمر . ونوه القديس ايرونيموس بسمو مؤلفات مار افرام اذ قال : « ان مار افرام السرياني شماس الرها اشتهر شهرةً عظيمة حتى ان مصنفاته تقرأ في كنائس كثيرة بعد قراءة الكتاب المقدس . والمؤمنون يتذوقون ميامره ويستحلونها لا في لغته الاصلية بل في اللغة اليونانية ايضاً . »(١)

واثبت المؤرخ سوزومن عبارة مار ايرونيموس بقوله : « يخيل الينا ان كل مديح قاصر عن اطراء القديس افرام السرياني مفخرة الكنيسة الكاثوليكية ، وعنوان مجدها . فان مصنفاته ترجمت وهو بعد في قيد الحياة الى اليونانية . ومن محاسنها ان ترجمتها لم تفقدها شيئاً من مسحة فصاحتها الفطرية . فهي اذا قرئت في اليونانية احدثت نفس التأثر والاعجاب الذي تحدثه قراءتها في الاصل السرياني . »(٢)

ومن دواعي الاعجاب والمجد ان نرى اليونان ، وهم الفخورون بتراثهم الادبي والروحي ، يغدقون المديح كل المديح على ملفاننا مار افرام ويتهافتون على ترجمة مؤلفاته . بل يزداد اعجابنا اذ نرى مـا احرزته من الانتشار السريع الواسع النطاق سائر الترجمات ايضاً من قبطية وارمنية وحبشية وعربية . وقد فقدت اجزاء كثيرة من تآليف مار افرام في نصها الاصلي وحفظت في اللغات المنقولة اليها(٣) .

---

(١) De Script Eccl. c. 115.

(٢) التاريخ الكنسي ٣ ، ١٥ Hist. Eccl...

(٣) C. Emereau : S. Ephrem le Syrien ; son œuvre littéraire grecque : Thèse présentée à la faculté des Lettres de l'Université de Paris.

ثم جاء عهد الانشقاقات البغيض، وتبعته الفتوحات الاسلامية الخاطفة وما لحقها وتأتى عنها من بلايا ومحن وانخذال لشرقنا المسيحي العزيز وللغتنا السريانية الشريفة وطقوسنا العريقة في القدم · واندثرت تآليف مار افرام الملفان، وتناولت قسماً منها ايادي الحدثان، وبقي القسم الآخر مدفوناً في زوايا بعض الاديرة والكنائس القديمة، او مستعملاً في الصلوات القانونية · حتى لاح فجر النهضة الادبية والمسيحية الحقة في الغرب، عهد التقارب والتآخي والمحبة · فنهض البابوات العظام يدعون المسيحيين الى التفاهم والوحدة وضم القوى لبعث التراث الادبي المسيحي القديم · فقيض المولى آننذ لتآليف مار افرام رجالاً ابطالاً جابوا الامصار الشرقية، وجمعوا ما وجدوا اليه سبيلاً من المخطوطات الافرامية القديمة · ولما تيسّر لديهم جزء ليس بيسير اخذوا يعنون بطبعه ونشره فاحدث اعجاباً ودهشة في العالم المسيحي اجمع · وفي مقدمة هؤلاء الابطال يلذّ لنا ان نسجل بعاطفة الفخر والاعجاب اسماء ثلاثة علماء من السريان الموارنة وهم المونسنيور يوسف سمعان السمعاني وابن شقيقه اسطفان عوّاد السمعاني والاب بطرس مبارك الماروني اليسوعي · فبين السنوات ١٧٣٤ و١٧٤٣ طبع هؤلاء ما عثروا عليه من تآليف مار افرام بالسريانية واليونانية مع ترجمتها اللاتينية في ستة مجلدات ضخمة ·

وفي سنة ١٨٦٥ نهج نهجهم المستشرق اوفربك في اكسفورد فنشر بعض ما تيسر له جمعه من تآليف مار افرام من مكتبة لندن العامرة ·

ثم جاء العلامة البروتستنتي بيكل G. Bickell الذي اعتنق الكثلكة لمجرد مطالعته تآليف القديس افرام · وقد شاء ان يترك اثراً لعقيدته، وعربوناً لشكره لمار افرام فنشر له القصائد المعروفة بالنصيبينية سنة ١٨٦٦ مع ترجمتها اللاتينية ·

ونشط المونسنيور توما لامي فجمع كل ما تيسر له جمعه من تآليف مار افرام الغير المطبوعة ونشرها في اربعة مجلدات في مدينة مالين من اعمال بلجكا من سنة ١٨٨٢ الى سنة ١٨٩٢ مع ترجمتها اللاتينية.

واخيراً في هذا الجيل كثر تهافت العلماء على تصانيف مار افرام الملفان. نخص منهم بالذكر المثلث الرحمات البطريرك افرام الثاني رحماني الذي نشر كتباً شتى منها مداريش مار افرام في البتولية، وفي الشكر على المائدة، وفي انحباس الامطار وغيرها . . . وقد اهتم غيره ايضاً في نشر تآليف مار افرام كالعلامة الايطالي مركاتي وريشوتي، والاباء المختاريين الارمن والسيد ميتشيل وغيره

وكيف لا يعجب المرء ويسلم بايان الكنيسة الكاثوليكية اذا طالع في تصانيف مار افرام — هذا القديس العريق في القدم والبعيد عن كل تحزب وغاية — شهادات وبراهين قاطعة علمتها وتعلمها اليوم الكنيسة المقدسة . ويزداد رسوخاً في ايمانه متى علم ان اكثر المخطوطات التي حفظت لنا تآليف مار افرام يرتقي عهدها الى الجيلين الخامس والسادس. فالكنيسة هي هي امس واليوم وغداً . وليخزَ المكابرون المتشدقون الناعمون كنيسة الله بالجنوح عن التعاليم الانجيلية الصحيحة .

وتُقسم تآليف مار افرام من حيث الاسلوب الادبي الى قسمين : نثر وشعر .

اما النثر فقد استعمله خاصة في تفسير الكتاب المقدس . ولم يظفر الباحثون الى الآن بسوى شرح سفر التكوين وجزء من سفر الخروج وشذرات عن بقية الاسفار المقدسة متفرقة هنا وهناك . وايضاً ترجمة ارمنية تفسير الدياطسرون او الانجيل الرباعي، وتفسير رسائل مار بولس، الخ . . .

ولكن ابرز تآليف مار افرام هي ميامره او قصائده المنظومة على البحر السباعي المنسوب اليه، او على غيره من البحور.[1] ومنها ايضاً مداريشه، وكلها تدور حول مواضيع دينية صرفة كلاهوت السيد المسيح وناسوته، وتعاليمه واوصاف مريم العذراء . وكثيراً ما يصف في ميامره ومداريشه

---

(١) طالع : L'abbé G. Ferry : s. Ephrem poète. Paris, 1877

اسرار البيعة المقدسة، ويفاخر بامجادها وقديسيها، ويقرظ اعيادها وحفلاتها، ويتغنى بجمالها ومحاسنها. وقد حفظت لنا الكتب الطقسية قسماً كبيراً من هذه الاناشيد الروحية العذبة التي لا تزال كنائسنا ترتلها على مدار السنة.

ومار افرام من الكتبة المجيدين، المبرزين في مضمار البلاغة والبيان. اوتي لساناً فصيحاً، وبياناً ساحراً، ومخيلة نادرة الوجود وذهناً متوقداً. فهو اذا كتب او وعظ جاء بالاستعارات والصور الجريئة البارعة، والرسوم الرائعة، والرموز والاضداد المحكمة. مما اقرّه له القاصي والداني ورفع اسمه عالياً بين ابناء زمانه وجنسه. زد على ذلك كثرة تفننه في الشعر والابداع، وحصره الكثير من المعاني في قليل من الالفاظ. وقد يؤخذ عليه احياناً بعض الاسهاب والمراجعات مما كان يروق للقدماء. ولا شك، غير انه ينافي ذوقنا العصري. وسنأتي ان شاء الله بامثلة من شعره وبيانه. قال العلامة تيكسرون: «ان مار افرام القى في عظاته الادبية من شعله الحمية ونار الحماسة ما بلغ به كنه القلوب. وكل ما دبجه .. كان في قرائه الاقربين عنوان البيان وآية البراعة.»[1]

على ان لنا كلمة وجيزة نوجهها في ختام محاضرتنا الى شبيبتنا الناهضة، الراغبة في الاعمال والمشاريع العصرية. ان تآليف ملفاننا المعظم مار افرام، رغم الجهود الجبارة التي بذلها العلماء منذ ثلاثة قرون، لا تزال تفتقر الى طبعة كاملة مصححة منقحة، مستوفاة شروط النشر والنقد الحديث، حسنة التبويب والمراجعة.[2] ولقد طالما ابدت المقامات العلمية، ولاسيما الدينية

---

(١) راجع مختصر تعاليم الآباء ص ٢٩٧ .Précis de Patrologie

(٢) لقد انبرى فريق من علماء الافرنج وميزوا في التصانيف المنسوبة الى مار افرام، طبقاً لمبادئ النقد الحديث، ما هو منه اولاً، وما ينبغي الشك في نسبته اليه. نخص منهم بالذكر العلامة الالماني انطون بومشترك في كتابه عن تاريخ الاداب السريانية، وهو اكمل واوسع كتاب ظهر الى الآن في هذا الموضوع. (ص ٣٧ وما بعدها)

والاب الفاضل اورتيس دي اوربينا استاذ الاداب الشرقية في المعهد البابوي الشرقي، في ملخص تعاليم ملافنة السريان لاجل طلبة المعهد المذكور (باللاتينية) ص ١٧ و١٨.

منها رغبتها في الحصول على طبعة كاملة لتلك التآليف . فمن هو اولى واجدر بالاقدام على هذا العمل المجيد من ابناء الكنيسة المارونية والسريانية الذين تربطهم والقديس افرام اواصر الوطنية والقرابة الروحية والطقسية واللغوية ؟

تلك امنية ورغبة نسوقها الى كل فرد من الطائفتين الشقيقتين ولاسيما الى رجال الاكليروس وبنوع اخص الى الرهبان الذين كانوا ولا يزالون في طليعة رافعي الوية الفضيلة والعلم . قيّض المولى لبيعته رجالاً اكفاء ، وآتاهم النعمة والقوة لنشر آثار السلف ليستنير بها الخلف اعلاء لمجد الله ورفعاً لشأن كنيسته المقدسة .

وموعدنا مع حضراتكم الاحد القادم في نفس الساعة لنحدثكم عن فضائل مار افرام . فالى اللقاء .

المحاضرة الثالثة

فضائل مار افرام

(محاضرة القيت من راديو الشرق سنة ١٩٤٥)

أيها السامعون الأفاضل،

استوفيت الكلام في محاضرتي السابقة عن حياة أبينا مار افرام الملفان الكبير . واليوم أحدثكم عن بعض فضائله الممتازة كي نتخذ منها أنموذجاً للسلوك في مضمار الأعمال الصالحة، فأقول :

١ : زهده

أدرك القديس افرام أن الدنيا، بما فيها من امجاد ولذّات وثروات، باطلة زائلة لا محالة . كتب على نفسه الزهد في ذلك كله زهداً تاماً بحيث بلغ فيه، كما اثبت مار غريغوريوس نيصص معاصره، مقدار ما بلغ به الرسل الالهيون . واستتلى يقول : «من رام ان يتخذ مار افرام مثالاً لكلّ الزهاد فلن يخطىء.» ويؤيد قول مار غريغوريوس تصريح مار افرام نفسه في وصيّته[1]، وهو : «لم يقتنِ افرام كيساً ولا عصاً ولا مزوداً ولا فضةً ولا ذهباً ولا غير ذلك مما يُقتنى على الأرض» (متى ١٠ : ٩) . هكذا كان افرام متهاوناً بالجسد، مغرماً بما هو أفضل وأجل، حتى ساوى الرسل الحواريين . ولم يزل يجاهد في حفظ الوصايا الالهية والمشورات الانجيلية بكلّ ما أوتي من قوة وعزم ونشاط حتى آخر رمقٍ من حياته.

---

(١) نشر البطريرك افرام رحماني هذه الوصية مع ترجمتها الافرنسية والعربية في مجلة الآثار الشرقية سنة ١٨٩٢ (السنة الثانية ص ١٧١ وص 58 — 39)

قال كاتب سيرته : « منذ اعتكف افرام على الحياة النسكية ، اقتصر في طعامه وشرابه على خبز الشعير مع شيء من البقول والحبوب ، وعلى شرب الماء القراح ، حتى أمسى جسمه نحيفاً ناشفاً يابساً لاصقاً بعظامه ، وكان ثوبه رثًّا مرقّعاً ووجهه عبوساً .

واصطبغت مبادئه في الحياة الروحية بمسحة من الجفاء والقساوة شأن الرهبان الأقدمين . وطالما ذرفت عيناه الدموع بحيث أنه لم يكفّ عن البكاء أصلاً ، بل كانت الدموع تتدحرج على خدّيه دائماً كما شهد القديس غريغوريوس . فكان افرام في كل أدوار حياته حزيناً كئيباً . والحزين في السريانية يقال له الأبيل (ܐܒܝܠܐ) . وقد أصبح لفظ الأبيل هذا مرادفاً للفظ الراهب الزاهد في حطام الدنيا . وهناك بيت شعر منسوب الى الأخطل الغساني وهو :

وما سبّح الرهبان في كلّ بيعةٍ   أبيل الابيلين المسيحُ بنُ مريما

والمراد بأبيل الابيلين سيدنا يسوع المسيح مقدام الرهبان وإمامهم [1] . ولا ننسَ الآية الانجيلية ونصها : « طوبى للحزانى فإنهم يتعزّون ، طوبى للباكين فإنهم سيضحكون » (متى ٥ : ٤) .

واستحب مار افرام الحياة الابدية على الحياة الدنيا ، مما حمله على التفكّر دائماً في عاقبة حياته . فكان يردّد ذات المرار هذه العبارة الذهبية : « ܚܟܡܬܗ ܕܚܟܝܡܐ ܗܕܐ ܗܝ . ܕܢܛܝܒ ܢܦܫܗ ܠܚܪܬܗ » « أي حكمة الحكماء متوقفة على أن يهيء المرء لنفسه آخرة صالحة » . واسترسل قديسنا في زهده حتى آخر عمره ، كما عرفنا ذلك من قصيدة محكمة نظمها في شيخوخته ، قال فيها : « جعت مراراً جمة ، ولكني زهدت في المآكل لاحصل على الغبطة المعدّة للصائمين [2] » .

---

(١) المشرق ١٦ : ٥١٢ ، ٥٩١ .

(٢) « ܦܬܘܪܐ ܕܡܠܟܐ ܚܙܝܬ ܘܐܬܪܓܪܓܬ ܣܓܝ . ܘܐܬܟܠܝܬ ܘܠܐ ܐܬܢܣܒܬ ܕܐܬܠ ܠܗ ܛܘܒܐ ܕܨܝܡܐ »

« فكرت صبيحة كل يوم أني أموت عشيته ، فاعتكفت عن العمل كرجل دنا أجله. طالبني جسدي بالراحة والرقاد ، فكنت أماطله ، طمعاً بالغبطة المهيأة للمستيقظين . جعلت جسدي هيكلاً يثوي فيه سيدي يسوع المسيح ، وقربت له بخور عواطفي وزهور طلباتي . كنت أحذر أن أدهن رأسي بالزيت ، لاني مسحت مرةً واحدةً في المعمودية بدهن الروح القدس . وكنت أحذر أن أغتسل بالماء لاني اغتسلت مرةً واحدةً بذلك الماء الذي تفجّر من جنب يسوع على الصليب . وكلما تناولت جسده الاقدس سألته ان يحرق اشواك اهوائي . فحرسني ووقاني شرَّ ابليس عدوّي . تعوّدت كلَّ مساء ان ارسم اشارة الصليب على جبهتي مستعيناً بالثالوث الاقدس كي يصدّ عني هجمات الشيطان الذي لا ينفكّ يحاول ان يسلبني عفافي (1) ».

٢ً إيمانه

امتاز مار افرام بإيمان حيّ وطيد ، معتقداً ان الإيمان درّة ثمينة يتيمة يجب ان يضحّى في سبيل الحصول عليها بكل غالٍ ونفيس فلم يُصدر جدالاً او اعتراضاً او انتقاداً عن سوء نيّة . كلّا . بل دعم الحقائق الدينية ببراهين صادعة ، وزيّف مزاعم الملحدين بداريش محكمة عنوانها ܠܘܩܒܠ ܡܪܘܢܐ ، مستنداً في محاوراته الى كلام الله الفضل المكنون

(1) « ܒܨܦܪܐ ܪܢܐ ܗܘܝܬ ܕܒܪܡܫܐ ܐܡܘܬ. ܘܐܝܟ ܓܒܪܐ ܕܥܢܝܕܐ ܦܠܚܬ ܘܠܐ ܥܡܠܬ ܟܠܗ ܐܡܝܢܐ + ܦܓܪܝ ܐܬܒܥܝ ܢܝܚܐ ܡܢܝ ܠܡܬܢܝܚܘ ܘܫܢܬܐ ܒܡܫܘܚܬܐ: ܒܗܘ ܛܘܒܐ ܕܡܛܝܒ ܗܘܐ ܠܥܝܪ̈ܐ ܕܒܥܕܢܗ + ܐܢܐ ܠܗ ܠܒܝܬܐ ܥܒܕܬ ܠܡܫܝܚܐ ܘܩܪܒܬ ܠܗ ܒܣ̈ܡܐ ܕܡܫܡܠܝܐ ܘܡܘܗܒ̈ܬܐ. ܕܡܫܚܐ ܕܡܘܕܝܬ ܘܠܐ ܐܬܡܫܚܬ ܡܫܚܐ ܐܘܦ ܗܘܝܬ ܘܠܐ ܡܫܚܬ. ܡܛܠ ܕܐܬܡܫܚܬ ܚܕܐ ܙܒܢ ܒܡܥܡܘܕܝܬܐ ܒܡܫܚܐ ܕܪܘܚ ܩܘܕܫܐ + ܘܠܐ ܐܣܚܐ ܒܡܝ̈ܐ ܡܛܠ ܕܐܬܚܠܠܬ ܗܘܝܬ. ܘܡܫܝܚܐ ܒܗܘ ܡܝ̈ܐ ܕܢܦܩܘ ܡܢ ܓܒܗ ܕܒܨܠܝܒܐ + ܘܟܠ ܡܐ ܕܡܬܩܪܒ ܐܢܐ ܠܦܓܪܗ ܩܕܝܫܐ. ܗܘܐ ܗܘܝܬ ܒܥܐ ܘܐܡܪ ܡܢ ܥܠܘܗܝ ܘܡܢ ܕܢܘܩܕ ܟܘܒ̈ܐ ܕܪܓܝܓܬܐ + ܘܢܛܪܢܝ ܘܠܐ ܐܬܩܪܒ ܒܝ ܡܘܒܠܐ ܕܗܘ ܒܥܠܕܒܒܐ ܕܝܠܝ ܡܢ ܟܠ ܒܝܫܬܐ ܘܡܢ ܗܘ ܕܐܝܬܘܗܝ ܒܥܝܢ + ܒܪܡܫܐ ܪܫܡܐ ܗܘܝܬ ܩܕܡܝ ܗܘ ܪܘܫܡܐ ܕܨܠܝܒܐ ܒܬܠܝܬܝܘܬܐ. ܘܠܐ ܫܒܩ ܣܛܢܐ ܕܢܚܪܘܒ ܠܢܟܦܘܬܝ + »

في اسفار العهدين العتيق والجديد ، والى تعليم آباء الكنيسة وتقاليدها ، مشبّهاً ذينك العهدين بثديين حافلين بلبن الآيات الصافية الخالصة من كل لبث وغش ، منهما ترتشف الكنيسة المقدسة جميع تعاليمها (فرض تقديس البيعة).

هكذا أفحم مار افرام بسديد براهينه أراتقة عصره كبرديصان وماني ومرقيون وسابيليوس وآريوس واشياعهم ومن لفّ لفّهم . على أن المبتدعين استنبطوا طريقة جديدة لبثّ اضاليلهم في قلوب السذّج . وذلك انهم انشأوا اغاني شعبية حشوها مزاعمهم الفاسدة . وجعلوا يلقنونها الصبيان والسوقة . فنهض مار افرام نهضة الليث من عرينه ونظم ميامر ومداريش جمة في دحض افترائهم . وحبّرها بمعانٍ سامية في وصف أعمال السيد المسيح واسرار كنيسته المصطفاة ومواسمها . ولقّنها الفتيان والفتيات فأخذوا ينشدونها في الكنائس وفي المحافل وفي البيوت معاً . وبتلك الذريعة المقدسة تغلّبت قصائد مار افرام الرنانة على أغاني الملحدين البذيئة . حتى أنها حلّت في الكنائس السريانية محلّ المزامير الداودية في الصلوات القانونية ، خلافاً لتقاليد سائر الكنائس النصرانية .

وهذا ايمان قديسنا الورع قد زاد فيه الثقة التامة بالرحمة والجودة الالهية ، فخاطب الله السخي بقوله مراراً هذه الصلاة ، وهي من اجمل ما نعرفه في الطلب : « فلتدنُ يا رب طلبتي من باب رحمتك وحاجتي من باب كنزك . اعطني يا رب بلا حساب عطية اله لانسان . فإن زدت العطية فأنت ابن اله جواد ، وان وفرتها فأنت ملك وابن ملك . وان انا كفرت عطيتك ، فانا تراب مثلي مثل آدم أبي . أما انت فانك جواد وابن الجواد . فتباركت يا أيها الشبيه بوالده »[1] .

---

(١) « ܬܬܦܬܚ ܒܥܘܬܝ ܡܪܝ ܡܢ ܬܪܥܐ ܕܪ̈ܚܡܝܟ . ܘܣܘܢܩܢܝ ܡܢ ܬܪܥܐ ܕܓܙܟ . ܗܒ ܠܝ ܡܪܝ ܕܠܐ ܡܢܝܢ ܡܘܗܒܬܐ ܕܐܠܗܐ ܠܒܪܢܫܐ . ܘܐܢ ܐܘܬܪܬ ܡܘܗܒܬܐ ܒܪ ܐܠܗܐ ܡܬܡܪܚܢܐ ܐܢܬ . ܘܐܢ ܐܬܡܪܚܬ ܡܠܟܐ ܐܢܬ ܘܒܪ ܡܠܟܐ . ܘܐܢ ܟܦܪܬ ܒܡܘܗܒܬܟ ܥܦܪܐ ܐܢܐ ܐܝܟ ܐܕܡ ܐܒܝ . ܐܢܬ ܕܝܢ ܡܗܝܡܢܐ ܘܒܪ ܡܗܝܡܢܐ . ܒܪܝܟ ܐܢܬ ܕܡܝܐ ܠܐܒܘܟ » . عدد ٦ : الأحد الثالث بعد القيامة ، ص ١٠٩

ومن صلواته المستبدعة قصيدة على البحر السباعي بدؤها ܗܒ ܠܝ ܡܪܝ ܕܟܕ ܫܗܪ ܐܢܐ ... أدرجتها الكنائس المارونية والسريانية في صلواتها الفرضية. وهي من أجمل الصلوات التي تقال قبل الرقاد: « اعطني يا رب ان سهرت ان امثل بين يديك بتيقظ، وان ادركني النوم أن يكون رقادي بلا لوم. وبحق صليب تواضعك امنحني رقاداً يؤول الى راحتي. ونجني من الاحلام الشريرة والتصاوير الباطلة[1]... »

٣ : محبته ليسوع ومريم

أما محبة مار افرام ليسوع فادي العالمين فقد بلغت به حد الكلف والغرام والتغزل. وكفانا لتأييد ذلك مدراشه الحلو اللطيف في وصف ميلاد يسوع العجيب الذي صدّره بقوله: « اسمح لي ايها الاله العجب ان افيض في وصفك واسترسل في مديحك. انك في الحق عجيب، بل تفوق كل عجب. وقد دعاك النبي عجيباً[2]. فأنت اعجوبة كلها عجب. بل انت اعجوبة الأعاجيب، فالحبل بك عجيب، وأنت اعجوبة هيهات ان تحدّها مدارك البشر[3]. يا ما أجمل طلعتك. يا ما ازكى عرفك. ما اقدس فمك، يا ايها الاله القدوس. تتدفّق منك بأجمعك ينابيع الحياة والخلاص. يا خبز الحياة المولود في بيت لحم (بيت الخبز). انك الاله الحيّ المولود من الاله الواحد الحي. ما اضوعَ شذاك. ما الذّ طفوليتك.

(١) « ܗܒ ܠܝ ܡܪܝ ܕܟܕ ܫܗܪ ܐܢܐ . ܒܥܝܪܘܬܐ ܐܫܡܫ ܩܕܡܝܟ . ܘܐܢ ܬܫܘܐ ܕܡܟ ܐܢܐ ܠܟ . ܕܠܐ ܣܟܠܘܬܐ ܬܗܘܐ ܫܢܬܝ ♦ ܒܚܝܠ ܨܠܝܒܟ ܕܡܟܟܝܢ ܗܒ ܠܝ ܫܢܬܐ ܕܢܝܚܐ ܬܗܘܐ ܠܝ . ܘܦܨܝܢܝ ܡܢ ܚܠܡܐ ܒܝܫܐ . ܘܡܢ ܪ̈ܢܝܢܐ ܡܬܗܦܟܢܐ »

(٢) اشعيا ٦ : ٩

(٣) « ܐܦܣ ܠܝ ܡܪܝ ܒܬܕܡܘܪܬܟ . ܕܐܡܪ ܡܪܕܝ ܕܬܕܡܘܪܐ ܛܠܝܐ . ܕܬܕܡܘܪܐ ܐܝܬܝܟ ܒܟܠ ܒܪܬܐ , ܘܠܐ ܡܬܕܪܟ ܠܗ ܕܬܕܡܘܪܐ . ܒܟܣܝܘܬܐ ܐܬܝܠܕ ܕܬܕܡܘܪܐ . ܕܬܕܡܘܪܐ ܐܢܬ ܕܡܛܠ ܕܬܕܡܘܪܬܐ . ܘܐܬܕܡܘܪܬܐ ܒܕܟܝܢ ܘܬܕܡܘܪܬܗ . ܕܬܕܡܘܪܬܗ ܡܩܕܫ . ܘܬܕܡܘܪܬܗ ܡܠܟܐ . ܕܬܕܡܘܪܐ ܐܢܬ ܟܠܟ . ܕܬܕܡܘܪܐ ܐܢܬ ܘܠܐ ܡܬܕܪܟ . ܗ̄ ♦

ما اشهاك ، ما احلاك ، ايها العطوف . انت طعام سماوي . أنت شراب محيي . انت الولد البتولي . طوبى لمن تتق الى ارتشاف دمك الأقدس[1] . ما اعزك ، ما اوضعك ، ما اقدرك . انت خفي جلي . تخف الى لقاء من يقصدك وتبتسم لمن يقابلك . جبينك الوضاح يشوش لمن يعانقك . شفتاك مضمختان بدرياق الحياة . اصابعك تقطر بلسماً . عيناك النجلاوان تحدقان بالعذراء امك المبتهجة برؤيتك . واليك يتوق ابناء البيعة المقدسة[2] . يا عظيم امه ورب امه ، يا اله امه ، وهو احدث منها سناً واقدم منها عهداً ، رحماك اهدأ هنيهة ، فقد ادهشتني جلالتك وشوشتني . تُرى من يمكنه ان ينظرك ولا يعانقك ؟ إنّ صمتك يدهش الناظرين . ولثغتك تحير البلغاء والفصحاء . يداك مدرجتان بالقمط . رجلاك تلبطان . ما احبك ، ما اجملك . ان فمك مفعم كلاماً الهياً فلك التسبيح والتمجيد[3] » .

قولوا لي بحقكم ايها السامعون الأحباء : هل قرأتم ام سمعتم الفاظاً وتعابير مثل هذه ، منبثقة من اعماق قلب نقي فتن كله بحب يسوع الفادي وحب امه العذراء النقية ؟ كلّا والف كلّا . بل كونوا على يقين تام من ان غرام مار افرام بالعذراء الطاهرة المجيدة قد ادهش عقول اساطين الملافنة والقديسين اولياء الله تعالى ، حتى انهم اقروا وقرروا ان مار افرام

---

(١) ܣܓܝ ܪܓܝܓ . ܘܚܠܐ ܚܢܢܐ . ܠܚܡܐ ܫܡܝܢܐ . ܡܫܬܝܐ ܚܝܐ . ܝܠܕܐ ܒܬܘܠܝܐ . ܛܘܒܘܗܝ ܠܡܢ ܕܡܫܬܘܚܪ ܠܡܫܬܐ ܕܕܡܟ ܩܕܝܫܐ . ܡܢ ܡܛܘܡ ܐܢܬ . ܣܓܝ ܡܟܝܟ . ܣܓܝ ܚܝܠܬܢ . ܟܣܐ ܘܓܠܐ ܐܢܬ . ܡܪܗܛ ܐܢܬ ܠܘܩܕܡ ܡܢ ܕܒܥܐ ܠܟ . ܘܡܓܚܟ ܐܢܬ ܠܡܢ ܕܡܫܬܐܠ ܠܟ . ܦܬܟ ܢܗܝܪܐ ܘܚܐܪ ܒܗ ܠܡܢ ܕܥܦܩ ܠܟ . ܣܦܘܬܟ ܒܣܡ ܚܝܐ . ܨܒܥܬܟ ܢܛܦܢ ܒܣܡܐ . ܥܝܢܝܟ ܢܗܝܪܬܐ ܚܝܪܢ ܒܐܡܟ ܕܚܕܝܐ ܒܚܙܘܗ . ܘܠܟ ܣܘܟܝܐ ܒܢܝ ܥܕܬܐ ܩܕܝܫܬܐ ܀

(٢) ܪܒܐ ܕܐܡܗ . ܡܪܐ ܕܐܡܗ . ܐܠܗܐ ܕܐܡܗ . ܘܙܥܘܪܐ ܘܩܕܡܝ ܡܢܗ . ܪܚܡ ܥܠܝ ܫܠܝ ܩܠܝܠ . ܕܗܪ ܐܢܬ ܠܝ ܒܝܩܪܟ ܘܕܘܕܬܢܝ . ܡܢܘ ܕܚܙܐ ܠܟ ܘܠܐ ܥܦܩ ܠܟ . ܫܬܝܩܘܬܟ ܡܬܡܗܐ ܠܚܙܝܐ ܘܓܡܓܘܡܟ ܠܡܠܝܠܐ . ܐܝܕܝܟ ܥܛܝܦܢ ܒܥܙܪܬܐ ܘܪܓܠܝܟ ܡܦܪܣܢ . ܣܓܝ ܪܚܝܡ ܐܢܬ ܘܫܦܝܪ ܐܢܬ . ܦܘܡܟ ܡܠܐ ܡܠܐ ܐܠܗܝܬܐ . ܘܠܟ ܫܘܒܚܐ ܘܬܕܡܘܪܬܐ ܀

(٣) ܪܒܐ ܕܐܡܗ . ܘܡܪܐ ܕܐܡܗ . ܘܐܠܗܐ ܕܐܡܗ . ܘܙܥܘܪܐ ܡܢ ܐܡܗ . ܫܠܝ ܩܠܝܠ . ܐܬܕܗܪܬ . ܡܢ ܫܘܒܚܟ ܗܘܦܟ ܠܝ . ܡܢܘ ܕܚܙܐ ܠܟ ܘܠܐ ܥܦܩ ܠܟ . ܫܬܩܟ ܡܬܡܗ ܠܚܙܝܐ . ܘܓܡܓܘܡܟ ܠܡܠܝܠܐ . ܐܝܕܝܟ ܥܛܝܦܢ . ܐܪܓܠܝܟ ܡܦܪܣܢ . ܣܓܝ ܪܚܝܡ ܐܢܬ ܘܫܦܝܪ ܐܢܬ . ܦܘܡܟ ܡܠܐ ܫܘܒܚܐ ܘܐܬܢܝܐ ܀

هو اول ملفان مريمي في بيعة الله الواحدة المقدسة .

ولقد اغدق قديسنا العفيف على العذراء المغبوطة اجمل الصفات وابدع النعوت ، فسماها ام الله وام البشر . العذراء الدائمة بكارتها . ابنة داود . الملكة وام الملك . سلطانة الملائكة . مصدر الحياة وينبوع القداسة . الى غير ذلك من الأوصاف الشريفة التي تنيف على الخمسين وصفاً . نذكر منها خصوصاً عصمتها من كل زلّة ، اذ خاطبها ملفاننا الجهبذ ، وخاطب ابنها يسوع بقوله : « انك يا يسوع انت وأمك وحدكما طاهران نقيان منزهان عن كل عيب . لا عيب فيك ولا وصمة في أمك[1] » .

٤ً : طهارته

ومن اسنى الفضائل التي تفرّد بممارستها مار افرام طهارته الملائكية . روي انه لما وصل الى الرها ، وانتهى الى نهرها المشهور بنهر ديصان ، لمح بعض النساء يغسلن ثياباً . واقبلت إحداهنّ وجعلت تتفرّس فيه . فقال لها القديس : ما بالك تحدّقين فيّ ؟ حدّقي في الارض . فاجابته فوراً : بل عليك انت ان تحدق في الارض لأنك منها أُخذت ، وعلي ان احدق فيك لأني منك أُخذت . فدُهش مار افرام لهذا الجواب السديد وقال : اذا كانت نساء الرها ذكياتٍ حاذقاتٍ كهذه المرأة ، فما يكون ذكاء رجالها ؟

وقيل ايضاً أن امرأة راودته على نفسها فاجابها بالرضا على شرط أن يتمّ ذلك في إحدى ساحات المدينة ، او في مكان لا يراهما الله العليم . وافهمها آنئذٍ ان الخوف من الله المالئ كل مكان أولى من الخوف من البشر . وله كتاب في البتولية وأمجادها نشره العلّامة البطريرك افرام رحماني .

---

(١) ܐܢܬ ܗܘ ܒܠܚܘܕ ܘܐܡܟ ܗܝ ܕܠܐ ܦܠܓ ܐܝܬܝܟܘܢ ܫܦܝܪܝܢ . ܕܠܝܬ ܒܟ ܡܪܝ ܠܐ ܡܘ-
ܡܐ ܘܠܐ ܟܘܡܬܐ ܒܐܡܟ +

وقد استشهد بأقوال مار افرام، في هذا الصدد، السعيد الذكر البابا بيوس الحادي عشر في رسالته العامة في الكهنوت الكاثوليكي. مثال ذلك قوله عن الكاهن: «لا يكفي الكاهن، ولا يكفي شرفه، وهو مقرب الجسد الحيّ، ان يطهّر نفسه وينقي لسانه وينظف يديه ويجلو كل جسمه. بل يجب عليه أن يكون نقياً تماماً وفي كل وقت. لأنه جُعل وسيطاً بين الله والبشر. فالتسبيح لذلك الذي يقتضي طهارةً مثل هذه في خدمته[1]».

اننا نقف عند هذا الحد من وصف بعض فضائل مار افرام وليّ الله عزّ وجلّ. ونطلب من المولى بشفاعة هذا القديس العظيم أن يبعث في قلوبنا روح الايمان والغيرة والمحبة والطهارة، لنحيا حياةً مسيحية مفعمة بالأعمال الصالحة. وموعدنا مع حضراتكم الأحد القادم لنحدثكم عن تعاليم مار افرام في بعض العقائد الدينية. فالى اللقاء!

---

(١) ܕܡܐ ܕܢܣܬܦܩ ܟܗܢܐ ܂ ܕܢܬܕܟܐ ܐܦ ܒܠܚܘܕ ܂ ܕܡܐ ܕܢܬܩܕܫ ܠܫܢܗ ܘܐܝܕܘܗܝ ܘܟܠܗ ܦܓܪܗ ܂ ܐܠܐ ܗܘ ܕܟܝܐ ܘܫܦܝܐ ܂ ܕܡܨܥܝ ܓܝܪ ܗܘܐ ܒܝܬ ܐܠܗܐ ܠܐܢܫܘܬܐ ܂ ܕܗܘ ܩܐܡ ܐܝܟ ܡܨܥܝܐ ܂ ܫܘܒܚ ܠܗܘ ܠܐܫܘܝܗ ܂ ܕܒܥܐ ܗܘ ܕܘܟܝܘܬܐ ܡܫܡܫܢܘܬܗ +

Cf. Carmina Nisibena, XVIII, édit. Bickel, p. 32, 112.

المحاضرة الرابعة

تعاليم مار افرام

في بعض العقائد الدينية

محاضرة القيت في راديو الشرق

ايها السامعون الاحباء

حدثتكم في الاحد الماضي عن قداسة مار افرام صناجة الروح القدس وبينت لكم أنه كان قدوةً صالحة في حياته الخفية والجلية . واليوم اواصل الحديث معكم عن الملفان عينه من حيث كونه معلماً خبيراً ومدافعاً جريئاً عن حقائق العقائد المسيحية ، ولاسيما ما لا يزال بعضها هدفاً للبحث والنقد والجدال . وقد عرفنا ان مار افرام البطل الشجاع كان وما برح متمتعاً بمكانة من العلم سامية ، احترمتها وتحترمها جميع الملل النصرانية على حد سوى ، كاثوليكية وارثوذكسية وبروتستانتية . واتخذتها حجة صارعة ساطعة لا سبيل الى نقضها او مخالفتها ، واعتبرت مؤلفها معلماً مدققاً يجب الاستناد الى آرائه ، والاعتماد على تصريحاته ، او السير بعد التروي فيها على ما يفترضه الضمير الحي المستقيم .

١ — الطبيعتان الالهية والانسانية

وفي اول تلك التعاليم الصريحة الصحيحة نذكر اعتقاده الراسخ بطبيعتي السيد المسيح الالهية والانسانية . فقد عاش هذا الجهبذ الخطير في عهد المجمع النيقاوي الذي قرر آباؤه الثلاثمائة والثمانية عشرة عام (٣٢٥) ثلاثمائة

وخمسة وعشرين ان ابن الله مخلصنا مولودٌ منذ الازل ، وانه مساوٍ للآب الازلي في كل شيء سوى البنوة . وقال غيرُ واحد من الكتبة إن قديسنا الكبير رافق معلمه مار يعقوب اسقف نصيبين الى المجمع المشار اليه ، ثم رقد بالرب قبل انعقاد المجمعين الافسسي والخلقيدوني اللذين قررا ان في السيد المسيح اقنوماً واحداً بطبيعتين غير ممتزجتين هما طبيعة اللاهوت وطبيعة الناسوت ، واستقى مار افرام براهينه السديدة من الكتاب الكريم فجاءت حجةً مطابقة كل المطابقة للتعاليم البيعية التي سبقت عصره وخلفته . واصبحت ذات صبغة خالصة منزهة عن التحزب والتشيع لهذا او ذاك كما يقولون اليوم.

وحفظت تلك البينات الصريحة في مخطوطات قديمة ثمينة لسنا نغالي ان قلنا انها من اقدم مخطوطات الدنيا . ترتقي نساخةُ بعضها الى القرن الخامس وهي مصونة بكل حرص واجلال في مكتبات لندن والفاتيكان وباريس وغيرها، وفي بعض مكتبات الشرق ايضاً . ونشر منها علماء الاستشراق وغيرُهم ما نشروا ونقلوه الى لغاتهم . فمن البراهين التي ايد فيها الاعتقاد بالطبيعتين قوله في مدراش عيد الميلاد المجيد يصف يسوع الفادي مضطجعاً في المذود ومدرجاً بالقماط : قال : يا ايها الالهُ الغير المحدود ، يا من اتلد منذ الازل من الآب من دون بذار ، وتجسد في آخر الازمنة من مريم دون بذار . حملته العذراء في مستودعها ، وولدته ثم احتضنته وعانقته وقبلته . . . فهو هو واحد في ابيه السرمدي وفي العذراء والدته وفي المذود وفي كل مكان . ولده الآب الازلي ، وولدته مريم العذراء وهو واحد . هو ابن الآب المجيد وابن مريم العذراء . هو الكلمة المتجسد ، ولدته امه العذراء ميلاداً يفوق الطبيعة البشرية وولده الآب الازلي ميلاداً جوهرياً . وهذا الطفل الالهي هو ابن واحد لابيه ولمريم امه . يشابه اباه بالجبروت والازلية والجوهر والسلطان . ويشابه العذراء والدته باتخاذه منها الطبيعة البشرية . . . » فاصبح ذا طبيعتين الهية كالله ابيه ، وطبيعة بشرية كمريم ! . . .

وانتهى هذا الفيلسوف السماوي الى التصريح بقوله : « ان القمر يشير

الى ناسوت السيد المسيح والشمس تشير الى لاهوته الاسمى . فالطبيعتان الالهية والانسانية المستقرتان فيه سبقتا فاشارتا الى عذابه والامه (مجمع شرفة ٢٨)

والاصرح من ذلك قوله : ܠܬܪܝܢ ܟܪ̈ܘܙܝܢ ܗܘܘ ܠܒܪܗ ܠܒܪܐ ܕܪ̈ܘܡܐ ܘܕܥܘܡܩܐ ... نرى خطيبين ممتازين انبريا يقرظان ابن الله المجيد : خطيب سماوي وخطيب ارضي . فالاول برهن عن طبيعته الالهية السامية ، والثاني اثبت طبيعته البشرية (رحماني رسالة في مار افرم ص ١٣)

والابلغ مما سبق تصريحه في نشيد عيد الميلاد عماد المخلص وهو : « تبارك السيد المسيح الذي اتحد لاهوته بناسوتنا واعلن لنا بذلك طبيعتيه معاً اعني الطبيعة العلوية والطبيعة الارضية واصبح الاهاً وانسان معاً . (فنقيت ٥ ، ٢٢٦)

٢ — سر القربان الاقدس

ولله در مار افرام في وصفه سرّ القربان الاقدس ، سر المحبة العجيب قال : ان يسوع الفادي وزع جسده الاقدس بيديه على رسله وقال لهم هذا هو جسدي . فمن اتقح فادعى انه ليس جسدَه كان خارجاً على كنيسته المقدسة (عيد الجسد ٢٨٧)

« كسر يسوع الخبز وحوله الى جسده . وعندما باركه وسماه جسده لم يبقَ خبزاً ، بل غدا في الحقيقة جسده الاقدس .

وقد شُغِف القديس افرام بالقربان الاقدس شَغفاً ما بعده شَغف ، فقال : ان الرجال والنساء ينفصل بعضهم عن بعض بالموت لا محالة . اما الكنيسة عروس السيد المسيح المجيدة فقد اتحدت اتحاداً تاماً بخطيبها القدوس يوم موتِه . وصارت توزع جسده وتتناوله وتتلذذ به وتسجد له مؤمنةً به لانه خلصها من الغواية والكفر . واستلي يسأل قائلاً : « هل شاهدتم ايها الاحبة عرساً

يصبح العريس فيه غذاء للمدعوين ويغترف من جنبه دماً يسقيه احباءه ؟ هيهات هيهات ان تجدوا مثل ذلك الا في الكنيسة المقدسة . فان العروس تبتهج بعريسها الذبيح ، وتعانقه وتوزع جسده الاقدس على اولادها الاحباء ، فينتعشوا ويعتصموا به ويتشددوا بإيمانه .

هكذا فُتِنَ مار افرام بحب سر القربان واعرب مراراً عن لواعج غرامه به فقال : لقد اسكرتني الخمرة التي عصرها اليهود على قمة الجلجلة . ارتشفتها فاستعذبتها ولم اشعر بعد هذا بما يصيبني من ضرب واهانة واستحقار لاني كلفت كل الكلف بها . وما من احد قادر ان يفصلني عن محبة مخلصي التي جاد بها علي ... فنقيث العنصرة ٣٣٤

٣ ـ سلطة الكنيسة ورئاسة بطرس وخلفائه العامة

ولمار افرام ابن الكنيسة الامين منظومات شتى في وصف سلطان الكنيسة المطلق وتقريظ شمعون كيفا رئيسها العام . فقد سمّى الكنيسة عمود الحق وقاعدة الدين وام المؤمنين ومرجعهم في شؤونهم الروحية وملاذهم في نوائبهم ، وحاميتهم في اخطارهم . وفيها مذدخرة كنوز الاسرار السبعة وهي معصومة من الغلط في تقاريرها . فكتب يوصينا قائلاً : تبحروا يا اخوتي في الآية الصريحة التي خصها السيد المسيح بكنيسته المصطفاة وهي ان ابواب الجحيم لن تقوى عليها . لانها راكزة راسخة على قوة الهية تعضدها وتؤيدها وتعصمها من الغلط .

اما وصف مار افرام الرئاسة البطرسية المطلقة العامة فلا نعرف ملفاناً من ملافنة البيعة الاقدمين ضاهاه في ذلك بتة . فقد اشار بامتيازات بطرس وخلفائه ، وصرح بزعامته العامة وسلطته المطلقة فقال : كما ان السراج يضيء لكل من في البيت هكذا ينير السيد المسيح المسكونة كلها بشمعون بطرس .

ثم قال : طوبى لـك يا شمعون بطرس لان الكنيسة الجميلة عروس السيد المسيح مؤسسة عليك . وقد وعدها ابن الله عز شأنه بان ابخال الجحيم لن تقوى عليها . هنيئاً لك لانك قبضت على المفاتيح التي سبكها الروح القدس ورعيت وسست غنم السيد المسيح وافلتها في مروج الخلاص الخصبة . ان ابن الله تعالى نصبك قهرماناً على كنزه وسلمك مفاتيح الملكوت السماوي وخولك الولاية على ذخائره السماوية اجمع .»

« ... اني نصبتك رئيساً على الرسل الاكرة . ومنحتك كنوزي باسرها واستودعتك مقاليد السماء والارض لكونك اميني وعليك اشيد اسرار بيعتي . قد جعلتك ركناً مبيناً لكنيستي مذ سميتك كيفا لتحمل انت جميع ابنيتها . اقمتك مفتشاً تلاحظ وتنتقد كل من يروم ان يبتني لي كنيسة في الارض . فاذا ابتنوا بنياناً شوهاء شوشاء لزمك انت الاساس ان تردعهم وتكفهم عن عملهم . انت مصدر تعاليمي ورئيس الرسل تلامذتي على يدك استي الامم قاطبة عذوبة الخلاص .. فاصبحت منذ الان قاعداً متولياً على كنوزي باجمعها ...

فهل من عبارات اصرح واوضح مما سبقت فحدثتكم بها ايها السامعون الاحباء عن طبيعتي السيد المسيح ، وعن سر محبته ، وعن عصمة كنيسته وعن رئاسة كبير رسله ؟ وقد كان بودي لو اتيح لي ان استرسل في تبيان كل الحقائق الايمانية التي كتب عنها ملفاننا المعظم ولاسيما في سر الكهنوت المقدس المتسلسل في الكنيسة الواحدة عن الرسل الاطهار ، وفي شفاعة القديسين اولياء الله ، وفي حقيقة الدينونة الخصوصية ، والعذابات المطهرية ، وقيامة الاجساد ، وفي تقريظ فريق من الشهداء والنساك والابرار الذين عاشرهم او اطلع على اعمالهم وجهادهم كالشهداء كوريا وشموني وحبيب وسرجيس وباخوس والنساك الزهاد كابرهيم القيدوني ، ويوليان الشيخ صاحب دير القريتين المجاور لحمص وغيرهم كثيرين .

وافضل ما اختم به محاضرتي هذه الكلمة التي اثبتها البابا بندكتوس الخامس عشر السعيد الذكر في منشوره العام الذي اعلن فيه مار افرام ملفاناً للكنيسة الجامعة . قال : « على الشرقيين الكاثوليك ان يتخذوا صنعنا هذا برهاناً جديداً على عناية احبار رومية واهتمامهم بالكنائس البعيدة عنهم . فاننا نود كاسلافنا لو تصان فيها مدى الاحقاب عاداتها الطقسية وقواعدها القانونية . وتضمحل تلك الموانع التي تفصل باسف جزءاً معتبراً من القطيع المسيحي عن الصخرة المعنوية التي عليها اسس السيد المسيح كنيسته . ذلك ما نتوق اليه بعون النعمة الالهية وشفاعة مار افرام . فيا ليت شموس ذلك اليوم السعيد تلوح قريباً .

تأمل خلاصة اناشيد مار افرام الرقيقة معانيها البليغة مبانيها الساحرة مغازيها . وقد افرغ في قيثارته الرنانة الشجية الطف رناتها ونبراتها ، وضمنها احر عواطف حبه لخالقه ومخلصه ، واقوى الحجج على عقائد كنيسته ، نفعنا المولى بصلاته ، آمين

المحاضرة الخامسة

مار شمعون برصباعي
جاثليق المشرق (+٣٤١)

محاضرة القيت في راديو الشرق

ايها السامعون الاحباء

فرغنا من الكلام عن ابينا مار افرام السرياني ملفان الكنيسة الجامعة واليوم ندعوكم الى سماع مأساة مفجعة مؤثرة بطلها حبر من احبار البيعة السريانية الشرقية، تفرد بتفانيه في حب رعيته، وامتاز بثباته في امانته وانار شعبه بنبراس معارفه، وهو القديس شمعون برصباعي جاثليق المشرق (٣٢٩ — ٣٤١) من قضى اثنتي عشرة سنة في كرسي المدائن اعني سليق وقسطفون القريبة من بغداد عاصمة العراق في عهدنا، لايفتر من التعليم والتبشير في وقته وفي غير وقته .

وهذه المأساة المؤثرة كتبها القديس ماروثا مطران ميافرقين المجاورة لدياربكر، وافرغها في قالب سرياني بديع رائع يعجز الكثيرون من الكتبة عن انشاء مثله . فاسترسل في وصف الجاثليق الكبير واساقفته الخمسة وقسانه وشمامسته وكبير جماعته امين سر الدولة الفارسية . وقد تكللوا قاطبةً في جمعة الآلام العظيمة في السنة ٣٤١ للميلاد . واليكم خلاصة تلك المأساة التاريخية الفظيعة .

لما استوى قسطنطين الكبير معزز النصرانية على تخت الدولة الرومانية اطلق الحرية للمسيحيين في تشييد الكنايس والديورة وفي النهوض بفروضهم الدينية . غير انه ما كادت تخمد نيران الاضطهاد في بلاد المغرب حتى

استقدم زنادها في بلاد الشرق شابور الثاني ملك فارس الذي استغرقت دولته سبعين عاماً (٣٠٩-٣٧٩) لم يفتر في اثنائها من التنكيل بنصارى مملكته والتضييق عليهم. وصوَّب سهام سخطه اولاً نحو كبيرهم ومقدامهم مار شمعون برصباعي الجاثليق المجيد. وكانت النصرانية في ذلك العصر قد ضربت اطنابها في بلاد المشرق اجمع وفي انحاء المملكة الفارسية من ارجائها الى ارجائها. فاتسع نطاقها وازداد عدد ابرشياتها وشيدت فيها الكنائس الضخمة والاديار العامرة، وتضوَّع اريج القداسة ما بين اولادها.

تذرع شابور الطاغية للبلوغ الى مأربه بوسيلة شيطانية لم يسبقه اليها ملكٌ من الملوك اسلافه. ذلك انه كتب الى جميع الولاة الخاضعين لسلطانه ان يضطروا الجاثليق الجليل ليفرض على النصارى جزية مضاعفة يؤدونها له شاؤوا ام ابوا والا انزل به وبهم الوان الاعذبة والاهوال. واذا اصروا ولم يدفعوا الجزية برهنوا على انهم موالون للدولة الرومانية النصرانية، يراسلونها في الشؤون السياسية ويمهدون لها السبل لتزحف الى البلاد الفارسية وتضع يدها عليها وتحتلها.

استفظع الجاثليق برصباعي الغيور ذلك الحتم الملكي ونهض نهضة البطل الباسل يدافع عن رعيته بكل ما منحه الله تعالى من نجابة وشجاعة فكتب الى اولئك الولاة رسالة محكمة يقول: ان النصارى باسرهم لم يتمنعوا بتة عن تأدية الجزية في ميعادها محافظين على امانتهم وخضوعهم للسلطة الملكية، سالكين في ذلك سالك سائر اولاد الدولة. وقد اوصاهم رسولهم مار بولس قائلاً: «اسأل قبل كل شيء ان تقام تضرعات وصلوات.. من اجل الملوك وكل ذي منصب.. » الى آخره (طيم اولى ١:٢) ومن ثم فلسبب فقرهم يتعذر علي ملاحقتهم في تأدية جزية مضاعفة.

امتعض اولئك الولاة فكتبوا الى شابور يطلعونه طِلعَ الامر. فاستشاط سخطاً واضمر الشر للجاثليق وشعبه وعول على الايقاع بهم. [illegible] اليهود في [illegible] فزينوا للملك من الدسائس والاكاذيب على

النصارى ما زينوا ، يساعدهم على بلوغ مآربهم زوجة شابور وكانت يهودية النحلة من جنسهم . عند ذلك كتب الملك رسالة ثانية الى الجاثليق يقول : ان اصررت وابيت دفع المبلغ امرت بقتلك وقتل النصارى برمتهم .

انتفض الجاثليق نفضة الاسد المغوار وكتب رسالة ثانية الى الملك يقول . « ان كلامي الاول والاخير هو هو ان ابدله وان ارجع عنه مهما كلفني الامر . وانت تعلم ان ملكاً يصون الدموع لافضلُ من ملك يريق الدماء . فرجائي ان تُشعر قلبك الرحمة وتتعطف على الرعية الامينة ولا تصبغ يدكَ بدماء النصارى البررة الابرياء » .

ما كاد يطالع الملك جوابَ الجاثليق حتى نبض عرق الغضب بين عينيه واصدر الاوامر بتقويض الكنائس ودك المذابح وانتهاب الاواني والامتعة البيعية ، ثم كتب الى الجاثليق البار يستعجله على القدوم الى ليدان عاصمة الاهواز .

واجتمع الجاثليق بالقسوس والشمامسة والاعيان وبث في افئدتهم روح الشجاعة والبسالة قائلًا « تشجعوا وتقووا ولا يغلبنكم اليأس والقنوط . تأملوا الانبياء والرسل من قبلكم فمنهم من رُجم ومنهم من نشر ومنهم من القي في النيران . . . والآن فانا منطلق لاواجه الملك ولست ادري ماذا يحل بي .

اغرورقت عيون الرعية كلها بدموع الاسف والحسرة على الراعي المحبوب والامام الباسل والمعلم الحكيم والاب القديس الصديق . لكن الجاثليق هدأ روعهم وصلى عليهم واستودعهم العناية الربانية وسافر في خمسة اساقفة وفئة من كهنته وشمامسته واعيان جماعته .

واتفق ان اعداء النصرانية وشوا حين ذاك بكبير النصارى امين سر الدولة الفارسية . فاستدعاه شابور وعرض عليه ان يجحد ايمانه ففعل . ولما وصل الجاثليق برصباعي الى ليدان انطلق ذلك الجاحد ليقبل يمينه فرفض الجاثليق مقابلته . ثم كتب اليه رسالة زاجرة مصرحاً بفظاعة اثمه

وهو يقول : « اعلم يا ازاد انك الى نفسك احوج منك الى الملك الفارسي . فان آثرت مرضاته على مرضاة ربك وخالقك وفاديك عرضت نفسك الثمينة للهلاك . اني اسأله تعالى ان يُليمك الرعوى لتسترجع الجوهرة اليتيمة التي بعتها بانجس الاثمان .

ما اطلع ازاد على رسالة الجاثليق المغبوط حتى انبثق له نور الحقيقة، واستنار قلبه ، وتجددت شجاعته . فاستجمع قواه ودخل على الملك وقرر جهراً بكونه مسيحياً ومتأهباً لقبول اي عذاب في سبيل عقيدته المقدسة . فاصدر الملك الاوامر بقتله . وكان ذلك صباح خميس الاسرار المقدس .

ثم استُدعي الجاثليق الى البلاط الملكي فعرض عليه شابور ان يسجد للشمس والقمر والنار .

فارتج الجاثليق وارتعش وغلت في صدره حمية الدين القويم ودارت في رأسه سلافة المحبة الالهية فابى الا ان يموت موت المستقتل المستبسل حباً ليسوع الفادي الحبيب . فامر الملك ان يعادَ الى سجنه ويتفكر في مصيره .

وفي عصر ذاك اليوم المقدس اعني خميس الفصح المجيد اجتمع الجاثليق في السجن باساقفته واقليرسه وشعبه واحتفل بالذبيحة الالهية . وهو حامل جسد الرب بيمينه ومسلم كاس الدم الاقدس الى حنانيا قسيسه . وترنم بتلك الترنيمة السريانية الخشوعية ومطلعها ܒܟܠܗ ܒܠܘܩܕܡܬܐ ܘܒܣܘܟܐ .
ثم تناول القربان الاقدس وناول جميع الحاضرين . . .

وصباح الجمعة العظيمة استدعي الجاثليق المغبوط الى المحكمة وعرض عليه شابور تكراراً ان يجحد ايمانه فأبى كل الاباء . فأمر الملك بقطع هامته وهام رفاقه قاطبة وكانوا خمسة اساقفة وسبعة وتسعين من كهنة وشمامسة ومؤمنين . ولما استيقوا الى منقع العذاب القى الجاثليق فيهم خطبة الوداع ومطلعها ܐܚܝ ܚܒܝܒܝ . . . وهي عظة مؤثرة يتلوها الاكليروس الكلدان حتى يومنا في قداس احد الجديد .

وكان الجنود يفصلون عشرة عشرة ويضربون اعناقهم بالسيف والجاثليق يبعث فيهم روح الشجاعة والبسالة ... وختموا تلك المأساة الفظيعة بقتل شمعون برصباعي المجيد . ثم اجتمع المؤمنون ولحدوا رفات الشهداء المعترفين في ليدان وابتنوا على اسميهم بعد ذلك كنيسة كبرى . وتحتفل الكنيسة السريانية والكلدانية واللاتينية واليونانية بتذكار جهادهم في الرابع عشر من نيسان . اما الارمن ففي الثاني عشر من ذلك الشهر . ويحتفل الكلدان خصوصاً بتذكار هؤلاء الابطال في الجمعة السادسة من اسابيع الصيف وفي الجمعة الاولى من اسابيع ايليا .

وفي اعتقادنا ان الجمعة الاولى بعد العيد الكبير التي نحتفل فيها بتذكار جميع المعترفين (ܥܪܘܒܬܐ ܕܡܘܕܝܢܐ) كانت في الاصل مخصصة لهؤلاء شهداء المشرق اذ يتعذر ذكرهم يوم استشهادهم في الجمعة السابقة وهي جمعة الآلام . ولكن مع توالي الايام توسع موضوع هذا الاحتفال فعم جميع القديسين ورأت كنائسنا ان تخصص لشهداء المشرق يوم استشهادهم الشهري الواقع في الرابع عشر من نيسان . اذاً تكون كنائسنا قد سبقت الكنيسة اللاتينية الى جعل يوم خاص لذكر جميع القديسين .

واما القديس شمعون برصباعي فقد خلف عدة تآليف اخذت اغلبها يدُ الضياع وبقي منها بعض رسائل واناشيد وصلوات ادرجت في الطقس السرياني الكلداني . ومن تصانيفه نذكر صلاة مطلعها : ܠܟ ܡܪܐ ܕܟܠܐ ܡܘܕܝܢܢ . لك يا رب الكل نشكر = ينشدها الكلدان في بدء الذبيحة السرية . ومن تصانيف الجاثليق كذلك صلاة اولها ܝܕܥ ܡܚܫ̈ܒܬܐ يا عارف الافكار ، وصلاة ثالثة اولها سبحانك ايها الرب خالقُنا . وقد نشر المستشرق كوشكو اربعاً من اناشيد القديس برصباعي الشهيد .

تلك خلاصة مأساة جاثليق المشرق الطيباوي ورفاقه . وقد شيد المؤمنون عدة اديار وكنائس تيمناً باسمهم المبارك . منها كنيسة في ليدان

محل استشهاد مار شمعون برصباعي . وكنيسة في المدائن مركز كرسيه الجاثليقي وكان لها مقام ممتاز لدى جثالقة المشرق يحجونها توا بعد سيامتهم البطريركية . وذكر ياقوت الحموي في معجم البلدان ديراً باسم الجاثليق برصباعي موقعه شرقي تكريت تجاهها ، يشرق على دجلة ...

هذا ما شئنا ان نحدثكم به عن احد جثالقة المشرق العظام ، وحسبنا ان نختم كلمتنا هذه القصيرة بعبارة شائقة اثبتها سوزومان المؤرخ (٢/١٤) قال : « دخل القديس شمعون برصباعي ابواب السماء دخول الفاتحين الغالبين محفوفاً بجنوده الابطال مردداً قول السيد المسيح عزّ شأنه لابيه الازلي « يا ابت هؤلاء الذين اعطيتني اريد ان يكونوا معي حيث انا ليروا مجدي الذي اعطيتني : يوحنا ٢٤/١٧[1] .

وموعدنا مع حضراتكم الاحد القادم في نفس الساعة لنحدثكم عن مار افراهاط الفارسي احد امجاد الكنيسة الشرقية في العلم والترهد والفضيلة . فالى اللقاء ...

(١) (ܛܘܒ̈ܐ ܕܣܗ̈ܕܐ ܘܩܕ̈ܝܫܐ . الجزء الثاني طبعة الاب بولس بيجان) .
Labourt ; Le Christianisme dans l'empire perse...

المحاضرة السادسة

مار يعقوب افراهاط (١)

يدور محور محاضرتي معكم، ايها السامعون الفضلاء، عن اعمال جهبذ من جهابذة السريان، ونابغة من نوابغ أيمتهم، عاش في القرن الرابع للميلاد في عهد مار شمعون برصباعي ومار افرام السرياني اللذين سبقت فحدثتكم عنهما . وهذا الجهبذ النبيل هو الاسقف يعقوب افراهاط السرياني اللغة والفارسي النحلة، الذي نبه ذكره وعظم شأنه وانتشر له صيت بعيد حتى اطلق عليه الأيمة عدة نعوت ممتازة : فسموه الحكيم النبيل ، والاسقف الجزيل الطوبى والوافر المعارف[١] كذا ورد اسمه في مخطوطة ثمينة سريانية نسخت في السنة ٥١٢ م . ويعد مار يعقوب افراهاط اول من كتب عن السيرة النسكية والحياة الرهبانية فانشأ تأليفاً جميلاً جليلاً بين السنة ٣٣٧و٣٤٥م ضمنه مسائل دينية لاهوتية بيعية قانونية ادبية ، وافاض فيه بذكر عادات المسيحيين في عصره . وسمى كتابه هذا « البراهين » او « البينات » ܬܚܘܝܬܐ وهو يحوي ثلاثاً وعشرين مقالة حافلة بفوائد دينية وعلمية نسقها المؤلف نسق الحروف الابجدية ، وصدر كلاً منها بحرف من تلك الحروف وختمها بمقالة رائعة عنوانها « العنقود » .

ومؤلفنا هذا الهمام يخاطب في مقالاته الجميلة صديقاً له عزيزاً جرى بينهما التداول في موضوع الكتاب وانشائه . فيصدر المقالة الاولى مثلاً بقوله : « تلقيت رسالتك ايها العزيز الحبيب واطلعت على مضمونها ... » وقيسوا على ذلك سائر ما اشتمل عليه هذا التأليف الرقيق المعاني ، الفريد المباني . يتصرف فيه كاتبه العلامة المدقق تصرف الخبير المتضلع من

(١) يشك كثير من العلماء اليوم في اطلاق اسم يعقوب على افراهاط وفي كونه اسقفاً . ونحن مهنا لم ننظر لهذه الجدالات العلمية ، بل اوردنا الحوادث كما هي .

الكتاب المقدس قديمه وجديده ، والواقف على احوال النصارى والوثنيين ، وعلى عاداتهم ومؤلفاتهم في عصره ·

حياته

بيد ان المؤرخين السريان وغيرهم لم يفيدونا عن حياة مار يعقوب افراهاط الا بما قل وندر . نذكر من ذلك المفريان غريغوريوس ابن العبري فقد ذكر في تاريخه السرياني البيعي عند تكلمه عن فلافلس اسقف انطاكية (٣٣٥ — ٣٤٣) قوله : « اشتهر في ذلك الزمان علماء اعلام وآباء افاضل كاتناسيوس الاسكندري ، واوسابيوس الحمصي وافرام الرهاوي والطوباوي يوليان الشيخ امام النساك في الرها والعلامة الفاضل بوزيط الحكيم الفارسي القويم المعتقد ، صاحب كتاب البراهين الجليل ·

فنستخلص من تصريح هذا المؤرخ السرياني الشهير ان يعقوب افراهاط الحكيم الفارسي عاش في عهد الطوباوي يوليان الشيخ الذي ضاع عرش قداسته في الرها وفي انطاكية وفي بلاد فونيقي · وهو الذي وشح ابانا مار افرام بالاسكيم الملاكي واتخذ افراهاط من خواص تلاميذه· على ان مار افراهاط سمع بخبر مار يوليان الشيخ حتى هجر وطنه في فارس واقبل الى الرها وانضوى في سلك رهبانه · وما عتم ان تلألأت مناقبه فجعلت مار يوليان رئيسه امين سره ورفيقه في جولاته ورحلاته المتواترة · قال كاتب سيرته : « اعتاد مار يوليان شيخ الرهبان المغبوط ان يستصحب حين خروجه من خلوته راهباً من رهبانه يقال له يعقوب ليشاركه في جولاته التقوية · وكان يعقوب فارسي المحتد ، ذا طلعة بهية مهيبة · لكنَّ جمالَ نفسه كان يفوق جمال طلعته بلا قياس · وعلى اثر وفاة الطوباوي مار يوليان زعيم الرهبان ذاع صيت يعقوب افراهاط ، وانتشر عرف فضائله في الاقطار ، واصبح من مشاهير الرجال الابرار ، لا بين رفاقه فحسب ، بل بين حكماء سوريا قاطبةً · وقد عاش افراهاط مائة واربعة اعوام قضاها في خدمة الله

عزّ وجل وفي خدمة كنيسته . (اخبار الشهداء والقديسين طبعة الاب بيجان . مجلد ٦ : ٣٨٦)

بناء عليه نقول ان يعقوب افراعاط قضى زهرة عمره معتكفاً على اعمال الزهد والتقشف تحت رعاية القديس يوليان الشيخ البار . ثم عاد الى وطنه ورقي الى الرتبة الاسقفية على احدى المدن الخاضعة يوم ذاك للدولة الفارسية ، على ما يرجح بعض العلماء . يتضح ذلك على قولهم من مقالته الرابعة عشرة وفيها يتحدث عن مجمع عقده اساقفة المشرق في سليق وقسطنون صدّرها بقوله : « راينا باجمعنا نحن الملتئمين في هذا المجمع اساقفةً وقسناً وشمامسة ان نكتب هذه الرسالة ونوجهها الى جميع اخوتنا ابناء الكنيسة في كل قطر ومكان » . فاستنتج العلماء من تصريح مار يعقوب افراعاط هذا انه كان احد اولئك الاساقفة . وقد كلفوه بدورهم ان ينشيء تلك الرسالة ويبعث بها الى الابرشيات السريانية في فارس وفي سوريا وفي بلاد ما بين النهرين وغيرها .

ولنأتِ الآن الى تآليفه

تآليفه

انطوى كتاب مار يعقوب افراعاط على اثنتين وعشرين مقالة ضافية ضمت كلها في مجلد ضخم حُفظ منه مخطوطتان نفيستان في المتحف البريطاني الشهير بلندن . تاريخ الاولى القرن الخامس والثانية القرن السادس . وهناك مخطوطة ثالثة نُسخت في سنة ٥١٢ فيها ينعت الناسخ مؤلفها نعوتاً شريفة تبرهن على رسوخ قدمه في مختلف العلوم الدينية والادبية . اما انشاؤه السرياني فهو انشاء سهل عذب ، خالٍ من التعقيد ومن الالفاظ الغريبة والتعابير العجمية ، مسبوك بالفاظ سلسة فيها الكثير من الترادف والتشابيه الرائعة ، ممزوجة كلها بآياتٍ جمة من الكتاب المقدس ، واضحة

في مبناها ومعناها . وكثيراً ما اورد هذا الكاتب المجيد مبتكراتٍ لطيفة وتعابيرَ حلوة لذيذة تطرب السامع وتُثلج الصدور وتبعث في النفوس شعوراً تقوياً مقدساً . ومجمل القول ان افراهاط جاد كل الاجادة في التعبير بلسانه عما تضمنه جنانه متوخياً في كل ذلك ايصال بيناتِه المحكمة وبراهينه اللامعة الى قلوب سامعيه ليجتنوا منها ما يرغبه كل فرد منهم من الفوائد الآيلة لخلاص نفسه .

ذلك ما حدا طلاب العلم ولاسيما المستشرقين الافاضل على درس هذا الكتاب البديع ، ونقلوه الى بعض اللغات كالارمنية واللاتينية والانكليزية والالمانية تعميماً لفوائده . ويسرنا ان نذكر في طليعة اولئك المستشرقين البحاثة المدقق الاب جان پاريزو الفرنسي البندكتي الذي خاض في درس هذا المؤلف الجميل وجال فيه جولة المتبصر الحكيم ونشره عام ١٨٩٤ في مجموعة آباء البيعة السريانية بباريس مع ترجمة لاتينية محكمة . ثم ضم الى ذلك كله مقالة افراهاط في « العنقود » .

وحوى هذا السفرُ الجميل بيناتٍ صادعة واضحة عن عقائد الكنيسة السريانية الشرقية وتقاليدها الرسولية قبيل المجامع المسكونية الكبرى التي عقدت في القرنين الرابع والخامس ووحدت كلمة المسيحيين في الاقطار الغربية والشرقية . فحدثنا هذا الكاتب الفاضل عن فوائد الصوم والصلاة وعن الرهبان والراهبات في زمانه وهو يسميهم ܒܢܝ ܩܝܡܐ ܘܒܢܬ ܩܝܡܐ ابناء العهد وبنات العهد . كما حدثنا عن التائبين المتقدمين للاقرار بذنوبهم وآثامهم بين يدي الكاهن ، وعن البعث والنشور ، وعن عادات اليهود التي نسختها والغتها الشريعة المسيحية .

ومما صرح به افراهاط عن سر الاعتراف المقدس الذي راح فريق من النصارى في عهدنا ينكرونه او بالحري يزعمون زعماً كاذباً ان الاحبار الرومانيين احدثوه في القرون الوسطى قوله وهو حجة دامغة تصرح بان المسيحيين منذ ظهور النصرانية اعتادوا كشف ضمائرهم لخوارنة الرعايا

طالبين الدواء لدائهم . فليسمع اذاً ناكرو هذا السر المقدس كيف يصف افراهاط الحكيم الجزيل الطوبى ذلك السر المقدس وصفاً دقيقاً صريحاً مشبهاً التائب بالمريض ، والكاهن المعرف بالطبيب الحكيم . فكما انه يُحكم على المريض ان يُطلع الطبيب على علته ليصف الدواء لدائه كذلك يلزم التائب ان يكشف خطايا قلبه للكاهن ليصف الدواء لشفائه وتنحه الحلة طبقاً لما قاله السيد المسيح لرسله : « من غفرتم خطاياهم غفرت . . . » وانتهى افراهاط بعد شرحه هذا الوافي الى التصريح بقوله موجهاً كلامه الى الكهنة : « ܠܗܘ ܕܡܚܘܐ ܠܟܘܢ ܟܐܒܗ : ܗܒܘ ܠܗ ܣܡܐ ܕܬܝܒܘܬܐ . ܘܡܢ ܕܒܗܬ ܕܢܚܘܐ ܟܐܒܗ ܐܠܦܘܗܝ ܕܠܐ ܢܟܣܝܘܗܝ ܡܢܟܘܢ . ܘܟܕ ܓܠܐ ܠܟܘܢ ܠܐ ܬܦܪܣܘܢܝܗ[1] . . . » صفوا التوبة دواء لمن يعرض عليكم داءه . واشيروا على من يحاول كتم دائه ان يكشفه لكم . واياكم بعد هذا ان تبوحوا به الى احد . » فهل من برهان اقوى وادمغ من برهان كهذا يصرح لنا باجلى بيان ما اعتاده المؤمنون من وجوب الاقرار بذنوبهم بين يدي الكاهن ليحصلوا على الدواء لشفاء كلومهم وقروحهم ؟

اما مقالة مار افراهاط بعنوان « العنقود » فقد بناها على آية اشعيا النبي « اقطري ايتها السموات من فوق ، ولتمطر الغيوم الصديق » ٤٥/٨ فاسترسل في تشبيهه يسوع المخلص بالعنقود الشهي العذب ، الذي قُطف من العذراء الجفنة المباركة . وعصره اليهود على قمة الجلجلة ، وارتشفه المؤمنون فاستعذبوه ، وثملوا بمحبته الالهية .

ونظراً الى تضلع افراهاط من الكتاب المقدس اذكر لكم ايها السامعون النجباء مثلاً أخصه من مقالته الحادية والعشرين وقد شبه فيها السيد المسيح مخلص العالم بالآباء الاقدمين كيوسف وموسى ويشوع بن نون ويفتاح

(١) المقالة السابعة الموجهة الى التائبين طبعة الاب باريزو ص ٣١٨ و ٣١٩

وداود الملك وايليا النبي واليشاع وحزقيال ويوشيا ودانيال وغيرهم ، وافرغ تشبيهه هذا الدقيق في قالب صاف محكم يتحدر تحدر الماء المنسجم ويسيل رقةً وعذوبة في القلوب فينعشها ويرقي النفوس الى الملا الاعلى فتمتزج ما بين مصاف السماويين وتسبح الله العلي تسبيحاً ابدياً متواصلاً . قال ما تعريبه :

أُضطُهِد يوسفُ بنُ يعقوب . اضطهده اخوتُه . فيوسف ارتفعت منزلته واخوته سجدوا له . اصبح يوسف المضطَهد مثالاً ليسوع المخلص . يوسف وشحه ابوه بقميص موشى ، ويسوع وشحه الله ابوه بجسد اتخذه من العذراء مريم . يوسف احبه والده اكثر من سائر اخوته ، ويسوع احبه الله والده وصرح بانه ابنه الحبيب وامر الجميع ان يسمعوا له . كان يوسف راعياً ، ويسوع راعي الرعاة . يوسف وجهه ابوه ليزورَ اخوته فتآمروا على قتله . ويسوع ارسله ابوه ليفتقد خلائقه فصرخوا قائلين : هذا هو الوارث تعالوا نقتله . يوسف باعه اخوته الخونة بعشرين من الفضة ، ويسوع باعه يهوذا الخائن بثلاثين من الفضة . يوسف لم ينبث اذ ذاك ببنت شفة ويسوع لم يكلم الصالبين بكلمة . يوسف القي في السجن ظلماً وعدواناً ويسوع حكم عليه بالصلب ظلماً ... يوسف وزع الذخيرة على المصريين وغيرهم ويسوع وزع جسده الحي على رسله وبواسطتهم على المؤمنين به . يوسف اقترن بابنة وثنية ، ويسوع خطب الكنيسة ابنة الوثنيين واتخذها عروساً له نقية طاهرة من كل وصمة . يوسف توفي ودفن في مصر ثم نقلت عظامه الى اورشليم ، ويسوع مات ودفن وقام من بين الاموات ممجداً منصوراً ، واصعد جسده معه الى الملكوت السماوي ...

وكتب افراهاط النبيل عن السيد المسيح وموسى الكليم ما خلاصته :

« ولد موسى فاخفته امه عن مضطهديه ، وولد يسوع فانهزم به ابواه مختفياً الى مصر تخلصاً من دهاء هيرودس . اصدر فرعون يومئذ اوامره بقتل اطفال اليهود ، وامر هيرودس بقتل اطفال بيت لحم . موسى استفك

شعبه من عبودية فرعون ، ويسوع خلّص العالم من عبودية ابليس . موسى اهبط المن لشعبه من السماء ، ويسوع منح المؤمنين سر جسده . موسى تقبل لوحي الشريعة ، ويسوع سلم عهديه الى المؤمنين . موسى غلب عماليق بعلامة الصليب ، ويسوع حطم الطاغي بصليبه . موسى انبط مياهاً صافية من الصخرة لشعبه ، ويسوع فوض الى شمعون الصخرة ليسقي العالم بتعاليمه . موسى وضع يده على اللاويين وجعلهم احباراً وكهنة العهد القديم ، ويسوع وضع يده على الرسل واقامهم احباراً للعهد الجديد . . . »

هذا مثلٌ من تآليف افراهاط الجليل ، تتجلى فيه نجابة نفسه وسعة مداركه وغزارة علمه ورسوخ قدمه في معرفة الكتاب المقدس . حبذا لو تيسر لكم ايها السامعون الاحبة الفضلاء ان تطالعوا هذا الكتاب النفيس الثمين ، وتقتدوا بمؤلفه العلامة المجيد في محاماته عن عقائد الدين المسيحي ، وتماثلوه في مناقبه الشريفة ، ولاسيما في وطيد ايمانه ووثيق رجائه ، واخلاصه المحبة ليسوع فادي العالمين آمين .

المحاضرة السابعة

القديس ماروثا اسقف ميافرقين

(+ ٤٢١)

ينطوي الحديث اليوم مع محبتكم على حبر خطير نبيل من احبار الكنيسة السريانية . لست اغالي ان قلت انه كان نادرةً من نوادر دهره وعجيبة من عجائب عصره . ذاعت شهرته وبعُد صيته في عالمي الدنيا والدين بما اداه من الخدم الجلى لكلتا الدولتين الرومية والفارسية في عهد توترت فيه العلائق بين تينك الدولتين الضخمتين، فاصبح همزةَ وصل بين هذه وتلك في ما ينوط بشؤون النصارى والنصرانية . وقد وفقه الله في رسالته المقدسة توفيقاً مباركاً عاد على الامم المسيحية في بلاد فارس باوفر الفوائد.

قصدت به القديس ماروثا اسقف ميافرقين المجاورة لدياربكر من وافق اسمُه السرياني ܡܪܘܬܐ مسماه . فغدا سيد العلماء ، وامام الاطباء ، وحجة المحامين ، ورئيس البلغاء والخطباء . فكان اذا قبض على يراعه تدفقت بلاغته تدفق الامواج في البحر الخضم . واذا اخذ في الكلام اضاءت بيناته اضاءة الشمس في رائعة النهار . كان القديس ماروثا واعظاً زاجراً ، ومنذراً موبخاً جريئاً تصل على اقطاب الدول سيطرتهم ، وعلى ارباب الدنيا سعادتهم ، وذكرهم بما آل اليه تعصب الملوك السالفين والولاة الظالمين من دمار ملكهم وزوال عزهم وغروب شمسهم واندثار اثرهم .

على ان مواعظهُ الجزلة ومراثيه المؤثرة وتشابيهه الرقيقة واوصافه البديعة في جهاد شهداء عصره لا تقل قيمتها عن الياذة هوميروس اليوناني واشعار فرجيل الروماني ، ومداريش مار افرام السرياني ، وخطب بوسوت الفرنسي وغيرهم من مشاهير الائمة واساطين الكتبة الغربيين والشرقيين .

ينتمي القديس ماروتا الى اسرة شريفة عريقة في النبل . وكان والده ليوتا والياً من قبل الروم على مدينة سوقينا · فعني بتثقيف نجله ثقافة دينية ومدنية ممتازة حتى ظهرت مواهبُ ذكائه فاضاف الى دروسه الاولية علم الطب فنبغ فيه كل النبوغ ، واصبح حكيماً نطاسياً طارت شُهرته في مختلف الاصقاع · وعلى اثر وفاة والده خلفه في سياسة تلك المدينة فابدى من الفطنة والحنكة فضلًا عن الرسوخ في الصلاح والتقوى ما حمل اساقفة عصره على اصطفائه اسقفاً لمدينة ميافرقين فضاعف نشاطه في خدمة الرعية وخدمة الانسانية معاً حتى غدا من افاضل الولاة وجهابذة الاحبار (طالع تاريخ ياقوت الحموي (✝ ١٢٢٩) .

١ — ماروتا في عالم الدنيا

اطلع ارقاديوس ملك الروم (٣٩٥ — ٤٠٨) على اعمال ماروتا ، ولاسيما على نباهته وامانته في خدمة الرعية فاستدعاه الى عاصمته وفوض اليه النهوض بمهمة دولية خطيرة نجح فيها كل النجاح . ذلك ان القيصر المشار اليه انتهز فرصة جلوس يزدجرد الاول على تخت الدولة الفارسية عام ٣٩٩ فوجه ماروتا اليه بمثابة سفير ليهنئه بتتويجه ملكاً ، ويعمل على عقد الصلح بين الدولتين · سافر القديس ماروتا الى عاصمة فرس وقابل الملك الجديد وتمكن بخبرته الواسعة وبصيرته الوقادة ان يزحزح عنه وعن اقطاب دولته سحابة التعصب الكثيفة المتلبدة على عقولهم وقلوبهم · فراحوا يكفرون عما سبق واقترفه سابور الطاغية واعوانه الطغام من الفظائع والذبائح الهائلة · واخذ الملك يعامل النصارى بالرفق والتودة · واطلق لهم الحرية في ترميم كنائسهم ، وتجديد ديوراتهم . ورخص لهم ان يؤدوا فروضهم الدينية دون قيد وشرط · وسرح جميع السجناء وابدى من اللطف والعطف على النصارى ما لم يبده الملوك من قبله ·

هكذا خلف يزدجرد الملك الفارسي لصنعه هذا المبرور ذكرى طيبة

حميدة حملت بعض المؤرخين الثقات على الاعتقاد بانه نادى بالدين المسيحي. قال سقراط مؤرخ ذلك العصر : «ان يزدجرد نوى ان يتنصر غير ان المنية عاجلته فلم يتمكن من انجاز نيته» . وكان يزدجرد المشار اليه محنكاً في سياسته ، ميالاً الى حل المشاكل المعقدة حقناً لدماء العباد وحرصاً على مملكته . واتفق انه اصيب بداء عضال اعيا اطباء فارس شفاؤه ، فنهض القديس ماروتا بتمريضه ومعالجته حتى شُفي باذن الله تعالى . فبالغ في تكريم طبيبه ومهد له السبيل الى الفوز بامنيته الشريفة .

مكث ماروتا خمسة اعوام في عاصمة الفرس ثم عاد عام ٤٠٤ الى قسطنطينية ، وبلغ ارقاديوس قيصر نتيجة رسالته . فابتهج الملك باخبار سفيره الهام وكافأه على تعبه اوفر المكافأة .

ولما تولى تاودوسيوس الثاني (٤٠٨ ـ ٤٥٠) زمام الدولة الرومانية سلك سلك سالفه ارقاديوس فأستدعى قديسنا النشيط ووجهه الى المدائن ليوثق عرى الصداقة بين الدولتين . فنهض مار ماروتا بتلك المهمة كذلك خير نهوض واقام ثلاثة اعوام في عاصمة فارس وتوصل بنفوذه وحذقه الى عقد مجمع في المدائن اتى بالفوائد الجمة على الكنيسة السريانية جمعاء .

بالغ يزدجرد الملك في تكريم السفير الجليل مبالغة حملت كهنة المجوس على الاضطغان عليه واضمار الشر له وللسفير معاً . واتفق ان الملك ذهب الى هيكل الوثن ليقوم بفروضه الدينية فسمع دوياً من جوف الارض يقول له : « اخرج ايها الملك خارج الهيكل لأنك دنسته ونجسته بتكريمك اسقفاً مسيحياً » . دَهِش الملك كل الدهش من ذلك الدوي الغريب واخبر قديسنا بالامر . فقال له مار ماروتا : « مر يا مولاي الملك ان تجتمع كهنة الفرس واحزابهم في هيكل النار وانا اطلعك باذن الله على سر حيلتهم ودخيلة خباثتهم . وما ان احتشدوا في ذلك الهيكل حتى اشار قديسنا بحفر مكان الدوي فشاهدوا هناك رجلاً منزوياً في السرداب . فاقر بالخديعة . فامر الملك فوراً بقتله وقتل معه خلقاً كثيراً من اولئك المجوس الخبثاء اللئام .

وفي السنة ٤١٨ قام مار ماروتا برحلة ثالثة الى المدائن . فرحب به يهب الاها الجاثليق (٤١٥ – ٤٢٠) ويزدجرد الملك صديقه الوفي . ثم كلفه الملك عينه ان يعود الى قسطنطينية وينطلق الجاثليق معه توثيقاً لعرى الصداقة بينه وبين تيودوسيوس الثاني . هكذا استمرت علاقات الدولتين مرتبطتين اشد الارتباط بفضل مار ماروتا سفير الخير والسلام . ورتع نصارى فارس في بحباح الراحة والطمأنينة ونموا نمواً عظيماً .

٢ – ماروتا في عالم الدين

لم تكن غيرة مار ماروتا على تعزيز الدين المسيحي في بلاد فارس باقل من غيرته على مصلحة الوئام بين الدولتين الرومية والفارسية . بل كانت في الحقيقة هدفه الاسمى وغايته القصوى . يتجلى ذلك خصوصاً بما قام به قديسنا من الرحلات المتعددة الى انطاكية عاصمة البطاركة والى قسطنطينية حاضرة السلطنة، والى المدائن كما قلنا . فقد حضر مار ماروتا عام ٣٨١ المجمع القسطنطيني المسكوني الذي حرم مقدونيوس عدو الروح القدس . وحضر كذلك عام ٣٨٣ مجمعاً في انطاكية حرم اباؤه بدعة المصلين وتدخل مار ماروتا في حسم نزاع جرى بين القديس يوحنا فم الذهب وتاوفيلس اسقف الاسكندرية . فاحبه فم الذهب وراسله غير مرة .

واستنفد قديسنا الوسع خصوصاً في القاء الصلح والوفاء بين اساقفة المشرق . فعقد عام ٤١٠ مجمعاً في المدائن بمشورة الملك يزدجرد صديقه ترأسه مار اسحق الجاثليق (٣٩٩ – ٤١١) وتلا عليهم مار ماروتا ما حمله اليهم من الرسائل التي وجهها اليهم اساقفة سوريا وما بين النهرين ولاسيما رسالة برفير اسقف انطاكية (٤٠٤–٤١٣) واقاق اسقف حلب (٣٧٩ – ٤٣٦) وفقيدا اسقف الرها (٣٩٨ – ٤٠٩) واوسيب اسقف تل موزل (ديران شهر) واقاق اسقف ديار بكر . وحضر ذلك المجمع مطارنة نصيبين واربيل وكركوك والاهواز وميشان وكشكر الذين اربى عددهم على الاربعين .

وافتتحوه صباح عيد الدنح . فقبلوا جميعاً رسائل الكنيسة السريانية الغربية وقوانين المجمع النيقاوي المسكوني الاول . ثم سنوا واحداً وعشرين قانوناً وتعاقدوا معاً على التعاون والتناصر تعاقداً حبياً متيناً .

وحتم الاباء خصوصاً ان تتوحد الصلوات القانونية في الكنائس جميعاً . وان يحتفل المؤمنون معاً بمواسم الميلاد والدنح والقيامة . وقرروا ان تكون كراسي المطرانية خمسة . وبعد ارفضاض المجمع توجه الجاثليق ومار ماروتا الى بلاط الملك يزدجرد واطلعاه على النتيجة . فسرَّ الملك كل السرور ووجه من قبله وزيرين من وزرائه زارا رهط الاساقفة وبلغاهم عن لسان الملك ما تعريبه : « انكم ايها السادة قد كنتم فيما سبق مضطهدين ، تمارسون فروضكم الدينية تحت السر . اما الان فقد تعطف الملك فايد اسحق الجاثليق رئيساً على نصارى المشرق وجاد عليكم ، رعايةً له وتكريماً لماروتا ، بالحرية المطلقة في شؤونكم الدينية . فعليكم ان تذعنوا للجاثليق وماروتا . ومن عصاهما استوجب القصاص الشديد » . شكر الجاثليق وماروتا ولفيف الاساقفة للوزيرين تصريحهما ودعوا للملك بالعز والتأييد في عرشه .

وعلاوة على جهود قديسنا في عقد الوفاق ما بين اساقفة المشرق فقد انتهز فرصة اقامته في بلاد فارس فنقل اخبار الشهداء الذين تكللوا في عهد شابور كما قلنا في احدى محاضراتنا السابقة . وافرغها في قالب مؤثر جداً . ثم جمع شيئاً كثيراً من عظامهم المباركة في صناديق ثمينة حملها على عجلات فاخرة الى مدينة ميافرقين كرسي اسقفيته . وشاد هناك كنيسة فخمة خزن فيها تلك الذخائر المقدسة الغالية الاثمان . ولهذا اطلق السريان على تلك المدينة اسم ܡܕܝܢܬ ܣܗܕܐ مدينة الشهداء وعبّر عنها اليونان بلغتهم مرتيروبوليس . وما برحت اطلال تلك الكنيسة الضخمة ظاهرة لعهدنا هذا .

٣ ــ الخاتمة

بقي ان نقول كلمة عن تآليف مار ماروتا في وصف جهاد الشهداء المشار اليهم . فقد سبكها سبكاً محكماً نادر المثال . يترنم بها السريان ترنيمهم بمقتطفات شعرية شجية تمثل اعذبة اولئك الابطال تمثيلًا حياً كأنّ قارءها يرى عذاباتهم بامّ عينيه ، ويلمسها بيديه . فيقتلع من اعماق قلبه دموعاً غزيرة تنصب من مقلتيه على خديه ؛ ويُصعد الزفرات الحارة سائلًا المراحم الالهية ان يمنحه بشفاعتهم الحظوة برؤيتهم في جنات النعيم .

وكنت اود لو تفهمون اللغة السريانية الشريفة، ايها السامعون الاحباء، كما كان يفهمها اجدادكم ، حتى أطرفكم بمقطعات من تصانيف هذا الحبر القديس والسفير المجيد . غير اني اكتفي بخلاصة وصفه للكنيسة وشهدائها قال:

« بما ان اساس ايماننا لا يدعم الا بالصخور وكنيستنا مؤسسة على صخرة بطرس الرسول طبقاً لقول المخلص انت الصخرة وعلى هذه الصخرة ابني بيعتي ، فقد تعزّزت كنيسة السيد المسيح وتوطدت بحجار كريمة لن تقوى امواج العالم ان تزعزعها البتة . فلنؤسسن اذاً فوقها صخوراً من عظام الشهداء القتلى ، وحجاراً من رفات الشهيدات الباسلات ، تزينها الدماء العندمية زينة المرجان الثمين ، وتزخرفها العذابات زخرفة الحجر الكريم . . فالسيف ما كاد يشبع من الدماء الزكية حتى بزغ يسوع الفادي الشمس الازلي ونشر اشعته الوهاجة فذوب صقيع الوثنية ورفع شأن بيعته وفكها من اسر العبودية وانتشر صيته في اقاصي المعمورة[1] ».

واما تذكار مار ماروتا فهو في الكنيسة اليونانية واللاتينية في الرابع من كانون الاول . وكنائسنا الشرقية تعيد له في ١٧ من شهر شباط .

---

(١) اخبار الشهداء والقديسين . طبعة الاب بولس بيجان بالسريانية . الجزء الثاني ص ٨١ و٨٢ و٩٤ و١٢٦ . . .

مار رابولا اسقف الرها

(٤١٢ ــ ٤٣٥)

يجول حديثي معكم يا معشر السامعين الفضلاء عن اسقف سرياني جليل القدر ، جزيل الفضل ، تقي السيرة ، نقي السريرة . هو القديس رابولا فخرُ اساقفة الرها عاصمة الادب المسيحي السرياني . اشتهر في اوائل القرن الخامس وبرز بعلومه العقلية والنقلية والكتابية ، وامتاز خاصة بمناضلته عن المعتقد القويم ومناهضته البدع الفاسدة ولاسيما بدعة نسطور الملحد . فكان بفضله وعلمه اوسع نظراً واطول باعاً بين مشاهير اساقفة عصره . واسمه سرياني بحت معناه المعلم والعظيم او رئيس الرعاة ، ضحّى بحياته حباً لرعيته وافادها بمثاله ومواعظه ، ولاسيما بما انشأه من القوانين السديدة لاكليروسه الرهباني وخدام رعيته . ونظم اناشيد حلوة حافلة بشتى المواضيع الدينية . وانشأ طقوساً ورتباً بيعية منتظمة . وخلّف للكنيسة المقدسة آثاراً ومآثر برهنت عن قداسته وفضله ومعارفه .

١ ترجمته .

كتب ترجمة القديس رابولا احدُ تلامذته المعجبين بمناقبه وغزارة علومه . وقد نشرها المستشرق اوفربك عام ١٨٦٥ ، ونقلها الاستاذ بيكل الى الالمانية عام ١٨٧١ . وقد اثبت المؤلف في المقدمة ما تعريبه : « ان مار رابولا وطد المؤمنين بكلامه ، وافاد الكثيرين باعماله ، وابهج الملائكة بحماسته وادهشهم بمجده واناته . ومجّد الله ربه بوثيق ايمانه . وكفاه وصفاً ان القديس قورلس الاسكندري سماه « عمود الدين القويم » .

ولد رابولا في قنسرين بجوار حلب . وقنسرين هذه (ܩܢܫܪܝܢ) مدينة سريانية معنى اسمها « وكر النسور » كانت في ايام عزها قاعدة مدينة حلب واعظم منها . ثم اخنى عليها الزمان بعد الفتوحات العربية . واما رابولا فقد ربته امه الفاضلة تربية صالحة لان والده كان وثنياً . وتثقف ثقافة ابناء الشرفاء النبلاء في عصره وحصل من السريانية واليونانية ما حصل . ثم جعل يطالع في خلواته الكتاب العزيز ويُعمل الروية في سمو معانيه ومغزى رموزه وآياته . فاستيقظت في قلبه عواطف الايمان وراح يطلب الحقيقة من مظانها . واخذ يتردد تارة على اوسابيوس اسقف قنسرين وطنه ، وطوراً على آقاق اسقف حلب . فاعجب كلاهما بذكائه وصلاحه واخذا يحببان اليه الديانة المسيحية ويشرحان له عقائدها المقدسة .

تقلب رابولا في شرخ شبابه في مناصب رسمية . لكن النعمة الالهية انتدبته الى منصب اشرف واكمل . فساقته يوماً الى صومعة ناسك تقي ورع يقال له ابرهيم . فاستغرب رابولا مـا شاهده فيه من شظف العيش ومواصلة القنوت . وسُر بما نقله اليه بعض الرهبان عن الآيات الباهرة التي اجراها الله القدير على يده . ثم قصد رابولا دير مار قزما ودميانوس فازداد شغفاً بما عاينه من زهد رهبانه ومثابرتهم على التأمـل والصوم والصلاة . عند ذلك حدثته نفسه ان يهجر الدنيا وما فيها وينطلق الى اورشليم . وما ان حطّ رحاله على ضفاف الاردن نحو السنة ٤٠٠ حتى قرّ رأيه على الاصطباغ بمياه المعمودية . ثم عاد الى قنسرين وطنه ، وباع كل ما اورثه والدُه ، ووزع الاثمان كلها على المساكين ، وقصد دير الانبا ابراهيم السالف الذكر واعتكف فيه زهاء عشر سنوات على ممارسة اعمال التقوى وعلى التجرد في كتاب الله عز وجل وفي اخبار الشهداء والقديسين . وما عتم ان فاح عبير قداسته ، ولاحت شموس معارفه في سوريا وما بين النهرين . واتفق ان توفي ديوجينُ مطران الرها فاجتمع الاساقفة الملتئمون في انطاكية ، ومن جملتهم آقاق اسقف حلب ، وانتخبوا قديسنا خلفاً له

عام ٤١٢ ، وكان كرسي الرها ثالث الكراسي المطروبولية الخاضعة للكرسي الانطاكي ، يخضع لمطرانها اثنا عشر اسقفاً . (راجع الآثار الشرقية ١-٢٥٩)

٢ — اسقفيته

سر الرهاويون قاطبة بحبرهم الجديد وعقدوا النية على التمشي وفقاً لمراسيمه في شؤونهم الدينية والادبية والاجتماعية . فازداد نشاط الراعي الغيور الى تعليمهم وتثقيفهم ولاسيما الى تأييدهم في المعتقد القويم . قال كاتب سيرته : « كانت سماء الرها عندما وافاها راعيها الغيور مار رابولا متلبدة بغيوم الاثم والهرطقة . فلما وصل اليها مطرانها الهمام نشط الى ازاحة تلك الغيوم المكفهرة ، واقتلع من القلوب قتاد المزاعم الفاسدة ونثر فيها زهور الاعمال الصالحة » .

بيد ان نسطور الملحد ، جرثومة النفاق والشقاق ، ذر قرنه في تلك الاثناء ونثر ينفث سمه القتال في القلوب مدعياً ان في السيد المسيح المخلص اقنومين ، وان العذراء مريم الجليلة ليست ام الله . فاندفع قديسنا اندفاع الرئبال وهب لمناهضته بكل ما منحه المولى من قوة ونفوذ وذكاء .

وفي السنة ٤٣١ عقد القديس قورلس بطريرك الاسكندرية (+ ٤٤٤) بتفويض من الحبر الاعظم البابا قلسطينوس الاول (+ ٤٣٢) مجمعاً مسكونياً في افسس مؤلفاً من مائتي اسقف . فقرروا ان في السيد المسيح اقنوماً واحداً وان العذراء مريم المغبوطة هي ام الله . تعذر على القديس رابولا حضور المجمع . الا ان الرسائل في هذا الصدد كانت متصلة بينه وبين القديس قورلس . نذكر منها رسالة ثمينة ابقتها الآثار السريانية وجهها القديس المشار اليه الى مار رابولا افتتحها بهذه العبارة : « الى سيدي القديس ، من الاسقف قورلس سلام بالرب . » ثم استتلى ما خلاصته :

« قد ذاع نبأ قداستك يا سيدي ذيوعاً متواصلاً ولاسيما في زمان

اصبحت فيه عموداً للدين وعماداً للحق المتين في بلاد المشرق طرّاً . اذ نهضت تزحزح عن المؤمنين بدعة نسطور وتئودورس زحزحة الطبيب الماهر للداء العضال القتال ... ولا يخفى عليك ان نسطور الملحد احتل كرسياً رفيعاً وامسى فريسةً للتنين الكثير الرؤوس . وغلب على ظنه انه يبتلع بيعة الله المقدسة ... بيد ان الاساقفة القديسين كافة في بلاد الروم قد اتفق رضاهم ورايهم بالاشتراك مع سيادتك على مناهضة زعمه وكفره ... وقد عرفنا انك تجاهد جهاد الابطال لتوطد في الايمان الحق لا كل ابناء ابرشيتك فقط ، بل كل المؤمنين المنبثين في المدن والاصقاع المجاورة للرها ... (وها نحن نبعث الى قداستك ما قررناه نحن كيما تتنازل فتستدرك ما لعلنا غفلنا عن ذكره ، وتأمر ان شئت ان يتلى تقريرنا هذا على مسامع الاخوة المؤمنين . وترى كذلك طي كتابنا تقريراً ثانياً عن الملك تئودوسيوس (+ ٤٥٠) فاتله ايضاً ان شئت على مسامع المؤمنين . وقد تلوت انا بدوري على مسامع الاساقفة في الاسكندرية الرسائل التي وجهتها الى قداستك . وصرّحت ان للمسيح يسوع في كل صقع ومكان اساقفة اجلاء نظيرك ينيرون عقول المؤمنين باضواء تعاليمهم ... »)

وقف القديس رابولا على الرسالتين المؤما اليها وتلاهما على ابناء ابرشيته . ثم انطلق الى عاصمة السلطنة والقى في كتدرائيتها الكبرى خطبة باللغة اليونانية افتتحها بما دل على وفرة تواضعه ، قال : « اننا صغار بكلمتنا حقيرون بعلمنا . وانتم عظماء متضلعون بحكمة الروح القدس وبلاغة الكلام ... ليت شعري من تراه لا يعتريه الوجل حين وقوفه في منبر هذه الكاتدرائية الفخمة ؟ بيد ان النعمة الالهية وهي ينبوع كل علم ومعرفة قد جرأتني ان اعبر لكم عن مكنونات صدري . وعلى تكلمي بلغتي السريانية الوطنية فقد احببت ان اخاطبكم باليونانية مصرحاً لكم بعقيدتي وعقيدة ابناء ابرشيتي ولنبدي رأينا في هل يجوز ان تدعى العذراء الجليلة « والدة الله » ؟ فاقول : اننا نجاهر دون خجل او وجل وننادي

على رؤوس الاشهاد قاطبة بان مريم العذراء الجليلة هي في الحقيقة ام الله . هكذا يجب ان يسميها المؤمنون باجمعهم فقد اضحت اماً لله الكلمة على ما صرّح رسول الامم بقوله : « ارسل الله ابنه مولوداً من امرأة » . (غلاطية ٤ : ٤) ; وسبق اشعيا النبي وعنه نقل الرسول متى الانجيلي فقالا : « ها ان العذراء تحبل وتلد ابناً ويدعى عمانوئيل » (متى ١/٢٣) . فهذا لا يدع مجالاً للريب بتةً في ان العذراء المغبوطة هي في الحقيقة ام الله عزّ وجل ...

فالرجاء يا احبائي ان تكتفوا بكلمتي هذه الوجيزة واعلموا اني لست متعوداً ان اسبق فاكتب خطابي واتعلمه ثم القيه على مسامع المؤمنين . كلا . لكني ارتجل الكلام ارتجالاً على ما تلقنني النعمة الالهية . والخلاصة اننا نحن وجميع ابناء ابرشيتنا نعتقد ان ابن الله المولود منذ الازل قد اتلد بالجسد من العذراء القديسة والدة الله واضحى الاهاً تاماً وانساناً تاماً » وكفى

٣ ــ فضائله

تفرد هذا القديس العظيم بحرصه على آداب اقليرسه وسمعتهم . فسنّ لهم قوانين سديدة وصل الينا منها ٨٩ قانوناً يطالعها اصحاب الشرع الكنسي بالثناء على ناظمها . وقد طالما ردد على مسامع الاكليروس قوله : « اذ كان كهنة اسرائيل قد تولوا خدمة قبة العهد بظاهر الاجلال والاحترام فما احرانا نحن ان ننهض بخدمتنا الكهنوتية في بيعة الله التي اقتناها بدمه الزكي ونارسها بجالي المحبة والخشية والاحترام » . زيدوا عليه ان مار رابولا كان مثالاً حياً لاقليرسه وقدوة صالحة لرعيته بتواضعه وقناعته ووداعته ومحبته وتعطفه على الفقراء والمرضى والغرباء . فابتنى بجوارة احد هياكل الوثن مستشفيين اثنين احدهما للرجال وثانيهما للنساء،

واضاف اليها مأوى للغرباء المتوافدين الى الرهـا من اطراف ابرشيته الواسعة الارجاء .

٤ ــ تآليفه

اما تآليف القديس رابولا فقد اخذت اغلبَها يدُ الضياع وبقيت منها بقية ضئيلة نذكر منها قوانينه التي اشرنا اليها ورسائله التي بعث بها الى فريق من الاساقفة والرهبان والاعيان . وتصحيحه كتاب العهد الجديد وبذلك الغى استعمال كتاب الدياطسرون في كنائسه وقد اتلف منه نسخاً جمة .

والى القديس رابولا تعزى الموربات اعني تعاظيم العذراء الجليلة وهي آيات يسبق كلٍّ منها بآية من آيات تسبحة العذراء اعني ا « تعظم نفسي الرب وتتهلل روحي بالله مخلصي » يستعملها السريان والموارنة والملكيون .

ومن ابدع ما انتجته قريحة القديس رابولا اناشيد التخشفتات ܬܟܫܦܬܐ وعددها يربي على السبعماية تتغنى الكنيسة السريانية بانغامها الرخيمة الشجية حتى اليوم ، ومنها ما ترتله الكنيستان المارونية والملكية لعهدنا هذا في صلواتها القانونية . (راجع الملكيون ١١٢) وهي تشتمل على مواضيع شتى في التوبة وتقريظ العذراء والشهداء والقديسين وذكر الموت والاموات من ذلك مخاطبة الموت في التخشفت السابع وبدؤه : ܚܙܝܬ ܐܚܝ ܒܐܪܥܐ ، قال ما تعريبه :

« تبصرت يا اخوتي في الارض جمعاء ، وحدقت في المـدن والبلاد فلمحت مدينة عظيمة طمرتها تلة من التراب ووقف الموت الطاغية يترصدها ويرقص فوق اجوائها . فقلت له يا ايها الموت افتح لي بابـك لادخلَ واشاهد مدينتك . فقال لي : « ان هذه المدينة التي تراها لا يتيسر للجبابرة ان يدوخوها . ففيها ملوكُ الارض وابطالها . فيها اقطابُ الدنيا وسلاطينها

فيها الكهنةُ الاجلاء والشمامسة . فيها الاختان والعرائس الممتازون بالجمال وفيها اكاليل العرائس الحسان . فهؤلاء ابناء آدم الترابي باسرهم لم يتغلبوا ولن يتغلبوا على قطعاً واصلاً . غير ان ملكاً واحداً نادى على قمة الصليب فسمعت صوته فارتعبت . وسيأتي في منتهى العالم ويبعث جميع اولاد آدم . تمجد رب الاكوان ومبدعها . »

هذا هو القديس رابولا النبيل فخر اساقفة الرها . وهذه هي اعماله العجيبة ، ومشاريعه العظيمة ، وتصانيفه البديعة السديدة . ونظراً الى شهرة قداسته فان الروم الملكيين يحتفلون بتذكاره في ٩ آب (المشرق ٥ — ١٩٠٢ : ٦٨) اما السريان فيذكرونه في ثاني آب وفي السابع عشر من كانون الاول . نفعنا المولى بصلواته ، ومن علينا برؤيته في ملكوتــه ، واعاد عــلى ابرشيته المحبوبة ذلك العهد المبارك عهد الازدهار المسيحي والادبي آمين .

المحاضرة التاسعة

مار يعقوب اسقف سروج الملفان

(✝ ٥٢١)

يُعد مار يعقوب السروجي بكل جدارة الملفان الثاني في الكنيسة السريانية والمارونية بعد القديس افرام الذي مرّ الكلام عنه . وكما ان مار افرام هو نابغة القرن الرابع المسيحي الذهبي ، ليس في الكنيسة الشرقية فحسب بل في الكنيسة الجامعة ؛ كذلك ايضاً مار يعقوب فانه من نوابغ القرن الخامس ، وصاحب الفضل العظيم على الالحان البيعية ، واحد كبار ممثلي التراث الديني الرسولي في بلاد ما بين النهرين وسوريا .

ويشق علينا ان بعض علماء الاستشراق لم يكترثوا لتلك التعاليم السديدة والميامر الدقيقة التي دبجها يراع هذا الملفان ، وتداولتها الكنائس السورية جيلًا بعد جيل الى يومنا هذا . (١) بل تشبثوا بوسائل ملفقة ادعوا ان هذا الملفان العظيم كتبها واشار فيها الى ميوله الى عقيدة المونوفيزيتيين

---

(١) نذكر من ذلك على سبيل المثال ما ثبت لنا بنوع اكيد انه لمار يعقوب في الاشحيم السرياني حيث اكثر البواعث المساة يعقوبية مقتبسة من تآليفه : باعوث القومة الاولى من ليل الاثنين والاربعاء . وباعوث الساعة الثالثة من يوم الاربعاء . وباعوث صلاة مساء السبت . طالع طبعة الاب يوسف بيجان : ܟܬܒܐ ܕܫܚܝܡܐ ܕܥܕܬܐ ص : ٦١٥ ، ٦١٨ ، ٦٢٥ . . .

الزاعمين بوجود طبيعة واحدة في السيد المسيح (١) وهي دعوى باطلة نتزه عنها مار يعقوب الملفان الخبير المدقق الذي لم يدع باباً من ابواب الدين الا طرقه . وها نحن نلخص في القسم الاول من مقالنا سيرة مار يعقوب . ونتكلم في القسم الثاني عن عقيدته الارثوذكسية ونبسط اخيراً بعض تعاليمه السديدة الراهنة . وقد صرح يعقوب الرهاوي (+ ٧٠٨) المصلح الكبير للطقوس السريانية ان امراء الادب السرياني هم افرام النصيبيني ويعقوب السروجي وفيلوكسين المنبجي .

اولًا : سيرة مار يعقوب السروجي وتآليفه :

ولد مار يعقوب الملفان في كورتم وهي قرية على ضفاف الفرات مجاورة لسروج سنة ٤٥١ . وكان والداه عاقرين استجاب الرب صلاتها فانعم به عليهما . وما كاد ينمو ويترعرع حتى لاحت عليه امارات النجابة والذكاء . فارسله والده حوالي سنة ٤٦٦ الى مدينة الرها حيث تلقى العلوم في مدرستها الشهيرة الكبرى . ونبغ في علم الكتاب المقدس وبرع في اصول الدين وفاق اقرانه في لغته السريانية وجعل ينظم الميامر البليغة منذ السنة ٤٧٣ . وقد اجمع المؤرخون على ان اول ميمر كتبه مار يعقوب في وصف المركبة التي رآها حزقيال النبي ومطلعها : ܪܡܐ ܕܪܟܝܒ ܥܠ ܡܪܟܒܬܐ ܘܠܐ ܡܬܡܠܠ . ايها العلي المستوي على المركبة الفائقة الوصف . »

---

(١) اتهم مار يعقوب بالمونوفيزيتية السيد روبانس دوفال في كتابه الافرنسي عن الاداب السريانية، والكردينال اوجين تيسران في مقاله في معام اللاهوت الكاثوليكي . . . وتبعهم البطريرك افرام برصوم . . . بينما انبرى للدفاع عن صحة معتقده العلامة السمعاني في المكتبة الشرقية ، والاب ابيلوس ولاسيما الخوري اسحق ارملة في كراس نشره سنة ١٩٤٦ في مطبعة الآباء المرسلين اللبنانيين في جونيه . وقد جمع فيه بعض بينات صريحة ومقنعة . ونحن كنا اول من استرعى انتباه الخوري ارملة الى هذه القضية . ونظن ان بعض البراهين التي جاء بها تحتاج الى تمحيص ونقد تاريخي ادق واضمن .

اعتكف مار يعقوب في غضون شبابه وكهولته وشيخوخته على نظم القصائد وحبرها باسمى المعاني وادق الشروح واحكم المباني . وقد ثابر على الدراسة في الرها حتى السنة ٤٨٩ . وفيها قوضت مدرسة السريان الشرقيين المشهورة باسم مدرسة الفرس . وتم تقويضها بامر زينون الملك وذلك لسبب انحياز تلامذتها الى الزعم النسطوري طبقاً لتعاليم تيودوروس وديودوروس وبرصوما النصيبيني وزملائهم .

ويرجح ان مار يعقوب قام برحلة في كهولته الى القدس الشريف والى اطراف انطاكية وتفقد اديارها العامرة بالرهبان ولاسيا دير مار بسوس الكبير الواقع بين افاميا وحمص قريباً من بلدة حادم . وقام برحلة ثانية الى مدينة نصيبين واجتمع هناك بالاساقفة والاقليروس فاقترحوا عليه ان ينظم قصيدته الشهيرة في انتقال العذراء الى السماء . وقد القاها في كنيسة مار قرياقوس الكبرى .

وعام ٥١٩ رقي مار يعقوب السروجي الى الدرجة الاسقفية بوضع يد البطريرك الانطاكي بولس الثاني وبمؤازرة فولا مطران الرها وكلاهما من اتباع المجمع الخلقيدوني .

عاد الاسقف الجديد الى ابرشيته وجعل يسوس رعيته بما امتاز به من حكمة ونباهة وغيرة وقداسة . ولم يفتر عن نظم القصائد كمألوف عادته حتى اوفت على ٧٦٠ قصيدة . اولها في المركبة الحزقيالية وآخرها في وصف العذراء المغبوطة والجلجلة . وانتقل مار يعقوب الى جوار ربه بالغاً الحادية والسبعين من العمر بعد ان اوصى وصيته الاخيرة بشأن كنيسته وتلاميذه وجماعته .

اما تآليفه فقد قال عنها ابن العبري مع بعض الغلو ان سبعين كاتباً كانوا يدبجونها . واكثر قصائده على البحر الاثني عشري الذي امتاز به وعرف باسمه . وقد نشر الاب بولس بيجان العازري ١٩٥ ميمر في خمس

مجلدات بين السنوات ١٩٠٥ – ١٩١٠ . ويقدر العارفون ان هذا ليس سوى ربع ميامره المعروفة والمدفونة الى ايامنا في بطون المخطوطات ، ما عدا المفقود منها وهو اكثر بكثير .

اما مصنفاته المنثورة فهي رسائل غاية في الحسن والابداع ، اوفدها في ظروف شتى الى الرهبان والاعيان والكهنة . وقد نشر منها بالطبع ٤٣ رسالة المستشرق اولندر Olinder سنة ١٩٣٧ مع ترجمتها اللاتينية . ونشر كذلك المستشرق الالماني Zingerle في بون ست خطب منثورة سنة ١٨٦٧ وسماها ܡܐܡܪ̈ܐ في عيد الدنح والصوم واحد الشعانين وجمعة الآلام وعيد القيامة مع ترجمتها الالمانية .

وتُنسب الى مار يعقوب السروجي نافورتان للقداس وطقس للعماد وسيرة الناسكين دانيال الحبشي وحنانيا ورتبة السلام التي تتلى في عيد الميلاد .

اما النافورتان المنسوبتان اليه فالاولى بدؤها : ܐܠܗܐ ܐܒܐ ܗܘ ܕܐܝܬܘܗܝ ܫܝܢܐ : ايها الآب الذي هو السلام ... والثانية تبتدي بهذه العبارة : « ايها الاله المبارك واللطيف يا من اسمه منذ الازل ... »

ثانياً : اورثودكسية مار يعقوب السروجي

هذا ولا بد لنا من كشف القناع عن حقيقة ارثودكسية مار يعقوب اسقف سروج لنرى هل كان ارثودكسياً مستقيم الراي ام مونوفيزيتياً يزعم بالطبيعة الواحدة .

لنا على تأييد ارثودكسية مار يعقوب براهين سلبية وايجابية :

فمن البراهين السلبية : ان مورخي المونوفيزيتيين الاولين لم يعتبروا قط مار يعقوب من حزبهم ولا من المدافعين عن معتقدهم . فالبطريرك ساويرا الشهير لم يذكره قط . وزكريا البليغ الذي درس العلوم مع سويرا في

جامعة بيروت زهاء ثلاث سنوات (٤٨٦ – ٤٨٨) قد عدد في تاريخه اسماء الاساقفة ورؤساء الديورة المخالفين لعقيدة المجمع الخلقيدوني ولم يضم اليهم اسم مار يعقوب[1]. وجاء بعده يوحنا الآمدي (+٥٨٧) اسقف آسيا فذكر ٥٨ اسقفاً من اساقفة المونوفيزيتيين ولم يدرج بينهم اسم مار يعقوب. ووافقه في ذلك ميخائيل الكبير البطريرك وابن العبري اللذان لم يكترثا الا قليلاً الى مكانة هذا الملفان واهمية ميامره.

ثم ان يعقوب الرهاوي انشأ سنة ٦٧٥ كانداراً سريانيا للكنيسة اليعقوبية ذكر فيه اسماء القديسين العظام وائمة المونوفيزيتيين مثل بطرك القصار ويوحنا التلي وسويرا وانثيموس وثيودوسيوس ويعقوب البرادعي وفيلوكسين المنبجي ويوحنا بن افتونيا. ولكنه لم يدرج بينهم اسم مار يعقوب اسقف سروج. وقد نسج على منواله كثيرون ممن لخصوا او توسعوا في هذا الكلندار[2]. فهذا كله يبرهن ان مار يعقوب لم يكن مونوفيزيتياً والا لوجب على المؤرخين ان يضموا اسمه الى اسماء زعمائهم.

اما البراهين الايجابية فنذكر منها: ١ً ان مار يعقوب نصب اسقفاً في عهد بولس البطريرك وفولا مطران الرها وبوضع يدهما وكلاهما خلقيدونيان. ٢ً لما قرر يسطين الملك (٥١٨ – ٥٢٧) نفي جميع الاساقفة الذين لم يخضعوا لتعاليم المجمع الخلقيدوني ابقى مار يعقوب اسقف سروج في كرسي ابرشيته يواصل جهوده في سبيل الدين القويم، ذلك لانه كان تابعاً لعقيدة الملك وموافقاً على تقارير المجمع الرابع المسكوني. ٣ً ان السريان الموارنة وهم من اشد المتمسكين بالمجمع الخلقيدوني ومن اشهر الخاضعين للرئاسة البطرسية في الشرق قد قبلوا احصاء مار يعقوب بين القديسين العظام وادمجوا ميامره في صلواتهم كما احتفلوا بتذكاره على كرور الزمان

(١) تاريخ زكريا البليغ ص ٧٤ و٧٥
(٢) مجموعة الآباء الشرقيين. الجزء العاشر. Patrologia Orientalis. X.

الى يومنا هذا[1] .

٤ ومن البراهين الايجابية ما يؤخذ من طريقة النقد الداخلي (critique interne) وذلك بالاعتماد عـلى مؤلفات المترجم لمعرفة تعاليمه واميانه ومعتقداته . فقد اثبت الائمة والمؤرخون ان مار يعقوب امتاز بروح المسالمة وترفعه عن الجـدل والخصام . وهو قول صحيح لاننا لم نعثر في ميامره الكثيرة على عبارة او كلمة لاذعة تتنافى مع روح المحبة المسيحية . ولاجل ذلـك يجب ان نعتبر ملفقة ومنتحلة تلك الرسائل التي يغلب فيها روح الخصام والمشحونة بعبارات التهاكم والاهانات وما شاكل ذلك . وقد رأينا مار يعقوب حتى في ميمره عن الايمان يكاد لا يذكر نسطور نفسه . ولاجل ذلك نعتقد مع السمعاني وغيره ان القصيدة ضد المجمع الخلقيدوني مزيفة ليست لمار يعقوب . كذلك رسالة اخرى موجهة الى رهبان مار باسوس ورهبان مار ارزون في بلاد فارس . ومن اراد التعمق في هـذا البحث فليراجع الكتاب الذي نشره حضرة الخوراسقف اسحق ارملة سنة ١٩٤٦ عن مار يعقوب .

عـلى ان السريان اليعاقبة ادرجوا اسم مار يعقوب في كلندارهم في القرون الوسطى . ونظراً الى اهمية ميامره اخذوا يدّعون انه منهم . وقد قال السيد اقليميس يوسف داود ان ذلك مخالف للصواب . وبرهاناً لذلك اننا لا نرى في كل مؤلفات مار يعقوب كلمة تخالف المعتقد الارثوذكسي الكاثوليكي او توافق المذهب المونوفيزيتي . وان فضلاء الارثوذكسيين المعاصرين شهدوا ان مار يعقوب كان تابعاً المجمع الخلقيدوني نذكر منهم طيمثاوس القسطنطيني . على ان مار يعقوب لو ساير سويرا لطرده يسطين الملك من كرسيه كما طرد غيره .»[2]

---

(١) ادمج الموارنة والسريان والنساطرة في قداسهم صلاة مار يعقوب التي بدؤها : ܐܒܐ ܩܕܝܫܐ . طالع بيجان . ميامر مار يعقوب ٣ – ٦٦١

(٢) المطران يوسف داود ، مختصر المختصر في تاريخ الكنيسة ص ١٩٦ – ١٩٨

اما السريان الكاثوليك فقد اجلوا القديس يعقوب السروجي واحتفلوا بذكراه في ٢٩ تشرين الثاني وفي ١٩ شباط وذلك منذ اهتدائهم الى اواخر القرن الماضي . فلما ظهرت الرسائل الملفقة المنسوبة الى مار يعقوب حذفوا اسمه من كاندارهم اعتباطاً ، بينما حافظت عليه الكنيسة المارونية ونحن على يقين من ان آباءنا وعلماءنا لو امعنوا النظر في تلك الرسائل المنتحلة لما اقدموا على حذف اسم هذا الملفان العظيم، والمجاهد عن العقائد الكاثوليكية كما سنرى الآن

ثالثاً : بعض تعاليم مار يعقوب السديدة

قبل الاسترسال في ذكر ما كتبه مار يعقوب في ميامره الخالدة عن العقائد الدينية القويمة نقول انه رغم محاولة تلاعب المونوفيزيتيين في تلك القصائد المحكمة لا تزال تحتوي حججاً شتى صريحة تؤيد العقائد الكاثوليكية باجلى بيان . وقد ابقت لنا مكتبات الشرق والغرب اكثر من ستين مجلداً من المخطوطات السريانية والسطرنجيلية الراقية اعمار بعضها الى القرن السابع والثامن والتاسع تتضمن بينات جمة تشهد لمؤلفها بعلو الهمة وسمو المدارك بما يعتقد به وينظمه ويقوله .

ولله در مار يعقوب في وصفه سر القربان الاقدس وصفاً يدهش الالباب ويخلب العقول وينشيء في النفوس عواطف وهاجة لقبوله بوثيق الايمان وصميم المحبة .

قال في قصيدته التي بدؤها : ܗܘ ܕܒܪܘܡܐ ܐܚܝܕ ܫܘܒܚܗ .

« ان الذي تتقد منه الملائكة الناريون في علو سمائه تشاهده يا هذا في الخبز والخمر على المائدة . . . ان الملائكة السرافيم يحسدون المؤمنين لكونهم هم يهتفون « مبارك الرب من مكانه كأنهم بعيدون عنه . والمؤمنون يتكئون على مائدته كندماء ويأكلون منه . . . ان الكنيسة

العذراء تدنو من يسوع عريسها وخطيبها المقتول وتجثو امامه وتعانق جسده وترتشف دماء جراحه ، وتزين عنقها بقلائد اعذبته الثمينة...»[١]

ولمار يعقوب ايضاً منظومة رائعة في تناول القربان الاقدس يحادث فيها النفس التقية المتأهبة للتناول · وما برح الكهنة الموارنة والسريان والكلدان يتلونها عندما يكسرون الجوهرة المقدسة وقت الذبيحة الالهية وهذا تعريبها : « عندما يضحي الكاهن بيسوع الابن امام ابيه ادخلي ايتها النفس سريعاً واسألي المغفرة بصوت جهوري · قولي للآب هوذا ابنك ذبيحة ترضيك فاغفر لي بها لانه مات لاجلي لاحصل على المغفرة · خذ من يدي قربانك فهو منك · وارضَ به عني لاني ليس لي سواه ما اقربه لك · هوذا دمه النقي مسفوك على الجلجلة لاجلي وهو يتشفع لي لديك فاقبل طلبتي حباً له · ما اكثر ذنوبي بل ما اكثر رحمتك · فاذا وزنتها رجحت رحمتك اكثر من الجبال الموزونة لديك · انظر الى الخطايا وانظر الى الضحية التي تُقرب لاجلها فان الضحية اعظم جداً من الذنوب · ان حبيبك كابد عذاب المسامير والحربة لاجل خطاياي · فحسبُك عذاباته لترضيك وتخلصني.»[٢]

وقال مار يعقوب عن سر الاعتراف : « من مزايا الكاهن ان يصلي لاجل الخاطىء ويلقنه تعليم الخلاص وينصح له ويوبخه ليتحاشى الاثم ويحضه ليسمو يوماً فيوماً لاكتساب الاعمال الصالحة[٣] واردف يقول : « ان الكاهن يمنح البشر مغفرة الخطايا ... ويغفر للعشارين والخطأة والاشرار مآثمهم .»[٤] وايضاً : « للملك سلطة على الاراضي والاصقاع · وللكاهن سلطة على النفوس والضمائر · في وسع الملك ان يجود بالمال على من يشاء ·

(١) ميامر مار يعقوب . طبعة الاب بيجان . الجزء الثاني ص ٢١٩ ...

(٢) ميامر مار يعقوب . طبعة بيجان . الجزء الثالث ٦٦١ – ٦٦٣

(٣) ميامر . طبعة بيجان ٢ : ٣٢٨

(٤) بيجان ٢ : ٨٨٠

وفي وسع الكاهن ان يغفر خطايا من يسأله. الملك تاج ورئاسة. وللكاهن كلمة خفية تحلل العُقَد.»[1]

ثم ان الكنيسة الكاثوليكية تعلم اولادها مصرحة ان بين السماء وجهنم موضعاً متوسطاً يدعى المطهر. فيه تتطهر النفوس التقية من شوائبها قبل ولوجها الخدر السماوي. وهذه العقيدة الايمانية الصريحة ايدها مار يعقوب المغبوط غير مرة في ميامره البديعة. قال في وصفه ايليا النبي: «ان ايليا باجتيازه نهر الاردن اشار الى اجتياز الصالحين الى الملكوت السموي. فكما ان ايليا فلق مياه الاردن وجاز فيها هو وتلميذه اليشاع على اليبس (٤ ملوك ٢ : ٨) هكذا يجتاز الكاملون (الابرار) ليصلوا الى الله عز وجل. فلا يصدهم نهر النار عن تتبع سيرهم. كما ان نهر الاردن لم يثبط ايليا عن استئناف سيره وطلوعه في العاصفة الى السماء.»[2]

وما اصرح قول مار يعقوب في التقاديس الثلاثة اذ يؤيد ان الكنيسة الجامعة قد اتخذتها نقلاً عن نبوة اشعيا اذ رأى الله جل جلاله مستوياً على العرش والسواريف واقفين يهتفون: قدوس قدوس قدوس رب الجنود. (اشعيا ٦ : ١ — ٣) وسارت الكنيسة سيرها هذا القويم حتى القرن الخامس. فلما تولى الكرسي الانطاكي بطرس القصار (٤٦٨ — ٤٧١ — + ٤٨٨) استنبط عبارة «يا من صلبت لاجلنا» وضمها الى تلك الآية النبوية الشريفة. فامست تلك الزيادة علامة فارقة بين الكاثوليكيين وبين المونوفيزيتيين. ولما حذرهم الكاثوليك عن استعمالها ادعوا انهم انما يوجهون التقاديس الثلاثة المشار اليها الى ابن الله المتجسد فقط. اما حقيقة توجيهها الى الثالوث الاقدس فيوضحها مار يعقوب الملفان في ميمره عن عوزيا الملك واشعيا النبي فيقول: «ان السواريف باصوات التقاديس الثلاثة قد اعلنوا

(١) بيجان ٥ : ٦١٠ .
(٢) بيجان ٤ : ٢٥٠ .

سرّ الثالوث للبشر اعلاناً جليا .. هتفوا مرنمين : قدوس قدوس قدوس الرب ليشعر النبي اشعيا بسر الثالوث .. انشد العلويون ثلاثة تقاديس دلالةً على وجود الآب وابنه وروحه القدوس ... فيا ايتها الكنيسة انصتي الى اولادك ينادون بالثالوث على مثال السواريف كما سبق السواريف عينهم فاوحوا به الى اشعيا ...»[1]

وما برحت الكنيسة السريانية تنشد حتى يومنا نقلاً عن مار يعقوب المغبوط في صلاة عشية الجمعة قائلةً ما تعريبه : « ما اجمل ملائكة العلاء يخدمون الرب العلي في مكانه وهم يهتفون قدوس قدوس قدوس الرب، معظِّم تذكار القديسين جميعاً . (فيوجهون) تقاديس ثلاثة الى الواحد القدوس له المجد . »

اما قضية الاعتقاد بطبيعتي السيد المسيح الالهية والانسانية فان مار يعقوب السروجي يجاهر بهما صريحاً في ميامره المجيدة . فيقول مثلاً في قصيدته عن ابن الله الكلمة الوحيد وهو يشرح لفظ عمانوئيل : « هو معنا لانه شاء ان يكون منا . وهو الاهنا وهو عمانوئيل معنا هو الكلمة معنا . وبما انه تجسد اصبح منا . وبما انه وافى الينا بالجسد فقد اصبح معنا »[2] . وغير خافٍ ان لفظ عمانوئيل مؤلف من كلمتي ܥܡܢ وإܠ . فلفظ ܥܡܢ دليل على طبيعته البشرية ، ولفظ إܠ دليل على طبيعته الالهية كما يقرر الملفان السرياني .

واستتلى مار يعقوب بقول : « تتجلى لي صفتان ثنتان في عمانوئيل : وهما صفة كونه الاهاً وصفة كونه انساناً حقاً . ففي لفظ ܥܡܢ معنا تتضح طبيعته البشرية . وفي لفظ إܠ تتجلى الوهيته صريحاً . ولفظ

---

(١) ميامر مار يعقوب . طبعة بيجان . الجزء الخامس ص ٤٠٦

(٢) بيجان ٢ : ١٨١

عمانوئيل مرادف للفظي انسان اله غير ممتزج بل كامل في كليهما »[1]

وصرح مار يعقوب في ميمر القيامة المجيدة يقول : « قد قام ابن الله تعالى من القبر بقوته الخاصة . ولن يموتَ بعد ولن يستحوذ الموت عليه . فلو لم يُتحد الطبيعة البشرية الميتة بالطبيعة الالهية الحية اتحاداً ارادياً واقنوميا لما امكن ان يموت دون جسد او يعيش الجسد بدونه[2]

بقي ان نطرفكم بشعور مار يعقوب المغبوط وجزيل اعتباره للرئاسة البطرسية الشاملة على الكنيسة الواحدة من اقصاها الى اقصاها . فهو في باكورة قصائده عن رؤيا حزقيال يعبر لنا عن عواطفه هذه الشريفة واعتقاده المتين في تلك القضية الايمانية الجوهرية اذ يقول :

« بشر شمعون في رومية وسار رفاقه الى المدن . . . يتمشون كلهم في عمل الرسالة طبقاً لشمعون . . . نرى اولاً شمعون راس التلاميذ ثم نرى سائر الرسل رفاقه . . . سار كل واحد الى بلد ليكرز فيه وجروا جرياً حثيثاً طبقاً لعقيدة شمعون . . . وآمنوا ايمانه »[3] . وقال ايضاً : « آثور تسجد ليسوع مع قرابين المجوس ، ورومية تسبحه بتاج الرئاسة الرفيع . »[4]

وشرح شرحاً وافياً قول مار بطرس ليسوع : انت هو المسيح ابن الله الحي ، قال : « نهض العريس يروم ان يبني بيتاً للعروس خطيبته فاستحضر اثني عشر حجراً . . . وانتقى منها حجراً واحداً ليضعه في الاول ويشيد فوقه اساسات بيته الكثيرة . (قال له) ܐܢܬ ܗܘ ܟܐܦܐ . انت كيفا وانا اضعك الاول في الاساس وعليك ابني بيعتي المصطفاة . لان ركنك وطيد كفؤ ان يحمل ثقل البيت ويظل راسخاً لا يتزعزع . انت

(١) السمعاني ١ : ٢٩١ . ومناظرة البطريرك كوركيس والمفريان باسيليوس اسحق جبير . مخطوط الشرفة ٥ - ٢١

(٢) الفنقيث ٤ : ٤٠٤ و٥ : ١٢٣ و٦ : ١٧٠ .

(٣) بيجان : ٤ : ٥٨١ .

(٤) بيجان ٤ : ٧٤٥

الدعامة الاولى في بنياني لانك امين . قد خطبت عروساً واعددت عرساً فخماً فتصدر المحفــل انت يا كيفا لانك امين صدوق في ايمانك ... اصبح الرسول الكبير اساساً للبيت الكبير لان يسوع معلمه عرف انه كفؤ قادر ان يحمل الادماك بأجمعها دون ان يتضعضع ...»[١]

على ان بعضهم زعموا ان شمعون الصفاة خسر تلك الرئاسة بجحوده معلمه يسوع . ولكن مار يعقوب الملفان الكبير يصرّح بقوله لكل مؤمن : « ضع بنيانك على الاساس ان كنت ذكياً حاذقاً . لانه لا يمكن ان يحمل ثقل البيت احد سوى بطرس . فان لم تبنِ ادماكك عـلى صخرة بطرس امسيت خارجاً عن البيت.»[٢]

وقال ايضاً : « لقد كان الجدير بالبيعة ان تتعلم من شمعون كيفا ما هو الباب الذي يدخل منه جميع التائبين ... فشمعون حقُّه ان يكون الاول في كل شيء ... فهو رئيس الاحبار ورئيس المؤمنين الامناء ومقدام التائبين ... ارتقى بدموع توبته الى منزلته الاولى وظـل قابضاً بيده المقاليد والرئاسة والامر والنهي »[٣]

وكتب مار يعقوب يصف انطلاق الرسل للكرازة ، قال : « تصدّر المجمع شمعون كيفا رئيس الرسل اولاً . ثم وقف كل من الرسل الواحد تلو الآخر ... حصلت رومية في حصته وافسس في حصة يوحنا ... انما وقعت رومية في حصة شمعون رئيس الرسل للدلالة عـلى ان ذلك العمل عمل الهي . حصلت رومية العاصمة في حصة بكر الاخوة لتتضح بذلك منزلته في الرئاسة .»[٤]

نكتفي بهذا النزر اليسير لنبرهن عن اعتقاد مار يعقوب الراسخ في

(١) بيجان : ١ : ٤٧ .

(٢) بيجان : ١ : ٦٧٠

(٣) بيجان : ١ : ٥٢٠

(٤) بيجان : ٣ : ٧٣١

الرئاسة البطرسية العامة . ونحن بعد هذا كله يجدر بنا ان نتساءل هل يتيسّر للعاقل النجيب وهو يتروى في نصوص مار يعقوب ان يعتقد او بالحري ان يظن ان هذا الملفان الكبير يناهض خلفاء مار بطرس في العرش الروماني ويعاندهم فيما يقررونه بشأن الحقائق الدينية ؟ ام هل يتيسّر للعاقل الاديب ان يفتكر ان مار يعقوب يحرم لاون الاول الكبير خليفة مار بطرس في الكرسي الروماني كما ورد في رسالة ملفقه ملزقة وُجهت الى لعازر رئيس دير مار بسوس ؟ او يجوز المسيحي الذكي ان يفتكر في ان مار يعقوب ينكر تعاليم المجمع الخلقيدوني في الطبيعتين الالهية والانسانية ، ويحرم طومس Tomus البابا لاون الكبير الذي ايد تلك القضية الراهنة ؟ كلا والف كلا : بل ان مار يعقوب ملفان الكنيسة المعظم كتب ما كتب في قصائده العجيبة مقرراً قضية التقاديس الثلاثة وقضية الطبيعتين ، وقضية المطهر ، وقضية الخلافة الرسولية بعبارات جلية صريحة ، وبراهين دامغة لا تقبل تأويلًا البتة . وهذا ما دعا الكنيسة السريانية ان تطلق عليه اوصافاً جميلة جديرة بمناقبه ونبوغه . فسمته « قيثار الروح القدس وعامود البيعة الارثوذكسية الكاثوليكية » « واكليل الملافنة » وحجة العلماء وفخر الكتبة .

المحاضرة العاشرة :

مار اسحاق انطاكي الملفان

(+ ٤٦٠)

في الآداب السريانية مؤلفات وافرة ، اكثرها شعرية ، تُنسب الى مار اسحاق السرياني الملفان الملقب بالانطاكي او الكبير حيناً ، وبالآمدي او الرهاوي احياناً .

ومن تصفح هذه الآثار النفيسة التي ظهر منها بالطبع جزء كبير تبين انه يوجد بلا شك اسحاقون كثيرون ، ثلاثة على الاقل ، تولوا تحبير هذه المقالات . لان منها ما هو يعقوبي محض[١] ومنها ما هو كاثوليكي[٢]. كما ان منها ما يرتقي عهده الى سنة ٤٠٤ ، مثل الميامر عن الالعاب القرنية ، وغيره ما يتجاوز اوائل القرن السادس على عهد اسكلابيوس (٥٢٢)

فما هو السبيل الى معرفة مار اسحاق الحقيقي الملفان الذي يجب ان تنسب اليه روائع هذه التصانيف ؟

اولاً ، ودفعاً لكل التباس يجب ان ندع جانباً كاتباً سريانياً يعرف باسحاق النينوي لان هـــذا عاش ومات نسطورياً في الجيل السابع وله تآليف معروفة ، اكثرها نثرية في وصف الحياة النسكية .

---

(١) طبعة بيجان ص ٧٣١ – ٧٤٨ و٧٥٨ – ٧٦١

(٢) بيجان ص ٧٩٠ – ٨١٥ .

ثانياً ، قد ساعد على حل هذا المشكل التاريخي المعقد الجواب الذي ارسله يعقوب الرهاوي على سؤال وجهه اليه يوحنا العامودي في اوائل الجيل السابع وكان الالتباس بين الاسحاقين آخذاً مأخذه. ويمكننا الاعتماد مع بعض التحفظ على هذا الجواب نظراً الى مكانة يعقوب الرهاوي العلمية وقرب عهده من زمان اصحاب هذه الميامر .

يميز يعقوب الرهاوي (٧٠٨) ثلاثة اسحقين ذاع صيتهم في القرنين الرابع والخامس :

١ً : اسحاق الآمدي المولد ، تلميذ مار افرام او تلميذ تلميذه زينوب، الذي زار رومة على عهد اركاديوس (٣٩٥ — ٤٠٨) وعند عودته رقي الى درجة الكهنوت .

٢ً : اسحاق الكاهن الآمدي الذي زار انطاكية في ايام البطريرك بطرس القصار ، ودبج فيها قصيدته المعروفة باسم الببغاء .

٣ً : اسحاق ثالث كان مونوفيزيتيا ، في ايام الاسقف بولس(٥١٢) ثم ما عتم ان انضم الى الفئة الارثودكسية الكاثوليكية في عهد الاسقف اسكلابيوس .

ولكن المؤرخين والكتبة لم يراعوا هذه الفروقات فيما بعد . بل نسبوا الى شخص واحد كل التآليف المصدرة باسم اسحاق . ومن جملة هؤلاء يوحنا بن شوشان الذي جمع هذه التآليف في مجلد واحد في الجيل الحادي عشر .

ونحن مع اعتقادنا ان التمييز بين اسحاق وآخر يتطلب معرفة تامة لتواريخ الجيلين الرابع والخامس ، ودرساً انتقادياً شاملاً للتآليف المنسوبة اليهم لا نرى بداً من تلخيص ترجمة الملفان السرياني الكبير الملقب بالانطاكي كما رواها ثقاة المؤرخين ، تاركين حل هذه المشكلة الى غيرنا من النقاد ، وكم تحتاج الآداب السريانية الى ابحاث ضافية ! وهذا الملفان السرياني مار اسحاق الانطاكي الكبير هو الذي قال عنه



ملفان الكنيسة السريانية مار اسحاق الانطاكي

جنادبوس انه عمر طويلاً وكتب كثيراً . وهذا الملفان على ظننا هو نفس اسحاق الآمدي الذي اتى على ذكره اولاً يعقوب الرهاوي .

اولاً : اخبار مار اسحاق الانطاكي الملفان .

ولد مار اسحاق الكبير في العقد الثاني من القرن الرابع للتجسد. وانطلق في حداثته من آمد وطنه الى مدينة الرها واعتكف على اقتباس العلوم في جامعتها الكبرى على زينوب تلميذ مار افرام المغبوط . وبعد ان ملأ جعبته من درر المعارف وملك اعنة اللغة السريانية وآدابها سار الى انطاكية واتخذها موطناً له فعرف باسحاق الانطاكي .

واستأثر اسحاق الملفان بالعيشة النسكية فقصد ديراً في ضواحي انطاكية وانزوى فيه يثابر على اكتناز الفضائل الراهنة ويختمر في شتى العلوم حتى رقي الى الرتبة الكهنوتية المقدسة . ثم نصب رئيساً على جمهور غفير من الرهبان واخذ يعلمهم ويرشدهم ويمرنهم على الصالحات ويحذرهم مزالق النقائص والزلات فغدوا يمتثلون امره في سرهم وجهرهم وينقادون لمشوراته ونصائحه في اعمالهم التقوية واشغالهم اليدوية .

وفي حوالي سنة ٤٠٤ قام برحلة الى روما العظمى على ما ذكر زكريا البليغ في تاريخه . ونظم هناك قصيدتين عامرتين وصف في الاولى العاب الرومانيين في الكابيتول ، وفي الثانية احتلال الاريق عام ٤١٠ لروما العاصمة . ونستنتج من ذلك ان مار اسحاق قضى حوالي ست سنوات في تلك الحاضرة العامرة بالكنائس والقصور والمسارح والمدارس والآثار الفخمة الجبارة . ثم غادرها الى القسطنطينية وهناك على ما روى بعضهم القي في السجن لسبب لم يذكر . ثم اخلي سبيله فعاد الى ديره في انطاكية يواصل اعماله الرهبانية ، مكباً

علـى نسج قصائده الخالدة التي رصعها بفنون الابداع ونقها بمعان سامية ميزته عن سائر كتبة عصره. وهو يحض الاكليروس والرهبان ولفيف المؤمنين ليسلكوا في محجة الصواب والتقى. ويشجع تلاميذه ليكونوا قدوة لسائر الرهبان في صومهم وصلاتهم واشغالهم وسائر اعمالهم.

وفي سنة ٤٣١ سار مار اسحق الى افسس وانضم الى آباء المجمع المسكوني الثالث وابرم معهم الحرم على نسطور اسقف القسطنطينية وعلى اتباعه الزاعمين باقنومين بالمسيح والمدّعين بان مريم العذراء المغبوطة لا يجوز ان تدعى ام الله عزّ شأنه. وقد ورد في الصحف السريانية القديمة ما تعريبه: «عقد المجمع الخامس عشر[1] في افسس لاجل نسطور في عهد تئودوسيوس الصغير (٤٠٨–٤٥٠) واجمع ١٢٠ اسقفاً على دحض زعمه. فحطوه وحرموه واقاموا مكسيموس بدلاً منه. اما رؤساء هذا المجمع فكانوا قلسطينس الروماني وقورلس الاسكندري ويوحنا الانطاكي وممنون الافسي وتئودوريط اسقف انقرة وآقاق الملطي واسحاق السرياني.

وذاعت شهرة مار اسحاق في اواسط القرن الخامس، وامتاز بصفتين جليلتين هما تآليفه ورئاسته على الرهبان كما اثبت عنه تاريخ اخبار الرها الملخص والمدقق فقال: «في السنة ٧٦٣ للاسكندر (٤٥٢م) اشتهر مار اسحاق المؤلف ورئيس الدير.

وقد اشار مار اسحاق الى مقامه الرئاسي في ميمره الـ ٣٥ يخاطب الكنيسة ما خلاصته: «ترى ما الذي شاهدتِه فيّ ايتها الكنيسة حتى جعلتني قيماً على ذخائرك واميناً على كنوزك؟ اني اقر بكوني طماعاً شرهاً حسوداً جسوراً، واعمالي تناقض تعاليمك. فقد خطفني الذئب وافترسني ولم يعد يسعني ان احافظ على غنمك. لست مستاهلا ان تلقي اليّ عصا الرئاسة لان الثعالب نهبتني. لعمري كيف يتيسر لي

(١) المراد بذلك المجامع الصغيرة والكبيرة.

ان افيد غيري انا الذي لم افتكر في فائدة نفسي الثمينة ؟ عَلامَ اقمتني مرشداً ومعلماً ورئيساً مع اني احقر الجميع وآخر الكل ؟

« ان مثلي مثل حجل يصطاد بعضه بعضاً . فالحجل في قفصه يدعو الحجل اقرانه اليه . ويثير اولاد جنسه بصوته لتكون معه ومثله مسجونة في القفص . واذا ما اتت لتساعده سقطت في الفخ نظيره . هكذا انا الاثيم ادعو الاثمة الى شبكة يسوع لياتوا ويحتووا ضمنها . »

وصرح مار اسحاق برئاسته على الرهبان كذلك في الميمر ٥٩ (ص ٥١٢) قال : « ان الايمان المقدس اقامني رئيساً في عرسه واولاني رتبة رفيعة وقال لي : امكث لدي واشتغل معي وانا اسدي لك اجرة كافية . »

هكذا قضى مار اسحاق ايام حياته مثابراً على خدمة رهبانه ، مثقفاً ومهذباً ، ناصحاً ومرشداً ، موبخاً ومنشطاً . وفي السنة ٤٥٨ حدثت في انطاكية زلزلة هائلة وشملت اغلب مدن سوريا الساحلية . وقد اشار اليها مار اسحاق في الميمر ٢٨ فقال ما خلاصته : « ان عدل الله تعالى وعطفه لم يبدلا حالتنا . فعدله ساقنا الى التذمر والتشكي ، وعطفه اطمعنا في ارتكاب المعاصي . فاشتد سخطه علينا وجعل يبكتنا بالزلازل وهزات الارض لعلنا نرعوي . لكن الخطاة الذين نجوا من هول الزلزال اصرّوا على غيهم ولم يتعظوا بهلاك اهلهم واصحابهم . ان الله العزيز رفع صوته وكلمنا بلسان الزلزلة والخوف . غير اننا لم نصغ اليه . قوّض الله سبحانه بالزلزلة قصوراً شامخة وصروحاً باذخة وطمر سكانها تحتها . فادعى الاشرار الذين افلتوا من غوائلها بانها انما حدثت عرضاً وصدفةً . ولم يعتقد الا القليلون بانها قصاصاً الهياً ومن المؤسف ان الاثمة يؤولون اعمال الله العادل القدير تأويلاً يلائم مشاربهم واهواءهم كيما يظلوا منقلبين في جرائمهم واثامهم . فالخليق بنا نحن المؤمنين ان نخاف هول الله القدير ونقمع اهواءنا ونتوب اليه التوبة النصوح » .

هكذا عاش اسحاق المغبوط عيشة كدّ وتعب ولم ينثنِ عن الكرازة بكلمة الحياة ، والعكوف على التعليم والتوبيخ في وقته وفي غير وقته طبقاً لوصية رسول الامم حتى بلغ شيخوخة صالحة مباركة ، وفاضت روحه الزكية بيد خالقها في ١٣ ايار ٤٦٠ ، وراحت تنال جزاء جهادها المقدس في الملكوت السرمدي . وقد خصصت الكنيسة بهذا الملفان الكبير تذكارين في السنة : احدهما في ١٣ ايار ذكراً لوفاته وثانيهما في ١٩ شباط مع مار افرام ومار يعقوب الملفانين العظيمين .

ثانياً : تآليف مار اسحاق الانطاكي

خلف مار اسحاق للكنيسة الجامعة تركة ثمينة انطوت على بعض شروح الكتاب الكريم وعلى قصائد رائعة حوت مواضيع دينية وتهذيبية جزيلة الفائدة . بيد انه لم يصل الينا من تلك الذخائر القيمة سوى النزر القليل . فقد احصى العلامة بيكل الميامر الاسحاقية كلها الصحيحة منها والمزيفة فأربت على المائتين . ثم تولى نشر ٣٧ منها سنة ١٨٧٣ مع ترجمتها اللاتينية ومن بينها القصيدة الملقبة باسم الببغاء وهي يعقوبية المعنى . ثم نهض الاب بجان ونشر ١٨ قصيدة بالنص السرياني فقط .

وقد سبق احد بطاركة السريان العلماء الافاضل وهو يوحنا الثاني عشر المعروف بابن شوشان (١٠٥٨ — ١٠٧٣)وجمع ما ينيف على ستين قصيدة في مجلد واحد وضمها الى ميامر ابينا مار افرام المجيد ومن تلك الميامر نسخة ثمينة تزين دار المطبوعات الفاتيكانية برومة العظمى موسومة بالرقم ١١٩ ورد فيها ما نعربه عن اصله السرياني . « كتاب ميامر مار اسحاق وعددها ستون ميمراً . انتهى نسخ هذا الكتاب الحاوي تعاليم حلوة انشاها القديس مار اسحاق السرياني تلميذ مار زينوب الملفان تلميذ مار افرام المغبوط . نقلها الكاتب عن نسخة

مدفقة كتبها مار يوحنا البطريرك ابن شوشان . وعلق عليها شروحاً في بعض الصفحات وانتهى من نساختها سنة ١٥٢١ للاسكندر (١٢١٠م) نسخها ابرهيم القسيس ابن القسيس يوسف من قرية بغدشية بضواحي ماردين قريبة من كفرتوت . وتمت نساختها في دير مار دومط بطبياثا . » وهي قرية في جنوبي ماردين .

وهناك نسخة ثانية في مكتبة برلين موسومة بالرقم ١٧٧ تحاكي النسخة الفاتيكانية مكتوبة في السنة ١٥٨٠ للميلاد .

واذا ما تصفحنا هذه الميامر امكننا ان نلتقط منها نماذج رائعة في وصف العناية الربانية، وفضائل السيد المسيح ووالدته العذراء والقديسين والكنيسة . كما ان هناك امثالاً واوصافاً نادرة عن الانسان والطبيعة وبعض الحيوانات .

لقد عدد مار اسحاق الملفان بعض اعمال السيد المسيح مخلص العالمين فوصفه بكونه الاهاً وملكاً وراساً ومعلماً وراعياً وطبيباً واكاراً . . . وكثيراً ما وصف آياته وعجائبه الباهرة . ويا ما احلى تشبيهه ذلك الفادي الحبيب بالنسر اشارة الى ما كتب موسى الكليم اذ قال : « كالنسر الذي يطير على عشه ويرف على فراخه ويبسط جناحيه فياخذها ويحملها على ريشه . (تثنية ٣٢ : ١) فكتب مار اسحاق يقول ما مفاده : « تُرى ما الذي يُلجي النسر وهو سابح في اجواء السماء ان يهبط من اعاليه الى عش فراخه ليتعهدها؟ فهو يضم جناحيه ويجمع ريشه ويسير في طريق مجهولة ريثما يصل الى العش الضيق فيدخله ويحتضن فراخه ويغزيها عاطفاً عليها ويكابد الذل والهوان حباً بها .

« فعلى هذا المنوال ترك يسوع الفادي سماواته الفسيحة وانحدر الى الارض الحقيرة وجمع جناحيه وريشه في مستودع العذراء الضيق . واحتمل الفقر والذل واضطجع في مذود حقير . وقد لقنتنا الكنيسة المقدسة طريقه السماوية الاولى ثم اعلنت لنا طريقه الثانية المحجبة في

قدس الاقداس في بيوتات القربان الاقدس . اجل هو حبه المفرط حمله ان يتعهد بني البشر اولاده ويغذيهم ويحرسهم . وهو عطفه الشديد اضطره كما اضطر النسر ان يتفقد فراخه ويحتضنها ويغذيها (ميمر ٥٨ : ص ٦٩٤ — ٦٩٦)

وتجند مار اسحاق للدفاع عن سيدتنا مريم العذراء المغبوطة فقرر في كتاباته انها هي ام الله حقاً . وفند زعم نسطور الملحد واشياعه . وقد سبق فصرح بعقيدته هذه يوم حضر المجمع الافسسي كما قلنا . ومن جملة ما كتبه في هذا الصدد قوله : ان المولود من الآب ميلاداً روحانياً ولد من العذراء ميلاداً جسدياً عجيباً . فاذا انكرت يا هذا الوهيته تشكى منك الآب السماوي . وان كفرت بناسوته سخطت عليك العذراء (ميمر ٥٩ : ٧٢٢) وذكر الملفان اتضاع العذراء وصبرها وصومها وصلاتها وعفافها ، ووصفها وصفاً جميلاً مسهباً .

ثم قابل مار اسحاق تعليم آبائنا الرسل مع سيرة المسيحيين وسلوكهم فقال : « اننا نطالع كتب الرسل ورسائلهم ولكننا لا نعمل طبقاً لاقوالهم ولا نقتدي باعمالهم وتوبيخهم . فالملوك خضعوا لهم ونحن ازدرينا بصحفهم . ناشدتكم الله قولوا لي : من منكم ترك ماله وتبع يسوع ؟ من منا تنحى عن ابنيته وادخر له بيتاً في السماء ؟ من منا تخلى عن حقوله واكتفى بما يسد حاجته ؟ من منا زهد في كسوته طمعاً في الحصول على الحلة السماوية ؟ ان كنا ابناء الرسل لزمنا ان نشابههم . فهم تركوا الشباك والاسماك بين الامواج واقتنصوا الملوك للخلاص والحياة . اما نحن فما برحنا متشبثين بمتاع الدنيا واباطيلها .

وقد طالما حمل مار اسحاق حملات عنيفة على الرؤساء والمرؤوسين في زمانه . حتى انك كلما قرأت قصيدة من قصائده عثرت فيها على عبارات نصح وتوبيخ وتقريع يوجهها اليهم . من ذلك قوله : « استأثر الرؤساء بالمجد الفارغ فقلدوا وظيفة الكهنوت السامية رجالاً جهلة

بسطاء حتى اصبح عددهم زائداً عن الحاجة . توفرت الرتب والوظائف الكهنوتية وتفاقمت معها خطايا الرعاة . فمن الكهنة من ترك عزلته وراح يطوي القرى والدساكر يوزع الاسرار على من لا يستحقها . ومنهم من اخذ ينقل القربان الاقدس في حقيبته ويذهب تائهاً شارداً في السهول والجبال . ومنهم من راح يتاجر بعظام القديسين . فالملك من عادته الا يتوشح بمنديله الا مرة في السنة . اما رعاة عصرنا فقد اخذوا يوشحون كائناً من كان بالاسكيم المقدس الذي نسجه الروح القدس . فيا للتشويش ويا لسوء التصرف وبئس الاستهتار بالمناصب الكهنوتية المقدسة !

وكثيراً ما تذرع الملفان بذرائع فعالة ليقرع الاساتذة ويعنف المعلمين . وقد يستعير لسان التلميذ ليبكت استاذه على اعماله الشاذة ، فيقول : انك يا استاذي علمتني ان اطالع الكتب المقدسة واتروى في معانيها . اما انت فقد طويتها واستغنيت عن مطالعتها . حملتني اثقالاً باهظة واكتفيت انت بالخفيف منها . لقنتني الفقر وتشبثت انت بالغنى . علمتني الا اهتم للغد وادخرت الذخائر لربوات السنين . امرتني ان افكر في السماوات وصوبت انت افكارك نحو حقولك وكرومك . علمتني ان اتكل على الله الغني وانت اتكلت على الذهب . نصحتني لاسير في الطريق الضيقة وسرت انت في الطريق الرحبة . ان اعمالك يا معلمي تناقض اقوالك . لانك تأمرني ان استأثر بالامور الابدية وتشبثت انت بالشؤون الدنيوية .

وسبق الملفان السرياني الشاعر العربي في وصف الفقير والغني فقال ما تعريبه : (ص ٣٩٠ و٤١٣)

ان الفقير اذا تكلم صادقاً قالوا كذبت وابطلوا ما قالا
اما الغني اذا تكلم بالخطا قالوا صدقت وما نطقت محالا

واشتملت قصائد مر اسحاق على فوائد جمة في الطب والادوية

والعقاقير وصنوف الامراض . (٢٧ : ٣٢٩) وله كذلك وصف بليغ في الانسان منذ ولادته حتى وفاته . (ص ٦٧٦) وهو يصف ايضاً اعضاء الانسان وهيئته وقده ولسانه وعينيه وفمه واذنيه واسنانه وهلم جراً .

وكان مار اسحاق متضلعاً من عالم الطيور والحيوانات كالحجل واليمام والسنونو والعصفور والنسر والطاووس والباشق واللقلق والكراكي وطبائع النمر واللبؤة والاسد والفيل والكركدان والدبور والنحل والنمل والبرغوث والبق والعنكبوت والسمك الخ . . . وهو يصف غرائزها وخواصها وعاداتها ومؤتلفاتها .

ومن اجمل ما كتب عن العصفور (٤٩٠–٤٩١) محرضاً الراهب ان يقتدي به في محنته قوله : «يلزمك ايها الراهب ان تنسج على منوال العصفور في اعمالك . فالعصفور اذا ما طارده الباشق سارع توا الى عوسجة ليحتجب ضمنها ويفلت من دهاء خصمه . فلا يكترث لما اصابه من الم العوسج مهما تحز جسمه وتخسه واغترز فيه لانه بتلك الذريعة يفلت من انياب الباشق ومن الموت . فعلى هذا النحو يلزمك ايها الراهب الورع ان تحتمل ما يعترضك من معاندة اخوتك واهانتهم مهما كانت . فاحذر ان تترك صومعتك والا وقعت في فم الباشق الجهنمي وخسرت السعادة الابدية . فالعصفور (ص٥٦٢) اذا وسع عشه تمكن الباشق من الدخول اليه وافتراسه . والراهب اذا وسع باب صومعته عرض نفسه لافتراس ابليس خصمه . فالاجدر ان تكون صومعة الراهب ضيقة فارغة لا تحوي الا كفافه . وكما ان العصفور يدخل باب عشه الضيق منحنياً كذلك الراهب يلزمه ان يدخل باب صومعته منحنياً متضعاً . قل لي ايها الراهب الفقير الزاهد ما حاجتك الى ثوب شتوي وثوب صيفي ؟ ما حاجتك الى حذاء للشتاء وآخر للصيف ؟ والهفتاه ان الرهبنة في عصرنا اصبحت تحاكي يقطينة يونان النبي . فهي لا تكاد تنبت حتى تذوي وتذبل .

اكتفينا بهذا النذر من قصائد مار اسحاق للاطلاع على ما تفرد به من التفنن في المعاني والتصرف في الكلام والوصف . ونختم مقالنا هذا بوصف جميل رائع نظمه الملفان السرياني في النسر والسمكة على سبيل المناظرة (ص ٥٠٣) قال :

شاهدت سمكة في نهر الفرات تعوم تارة وطوراً تغوص . ورأيت نسراً في الجو يلاحظها ويترقب الفرصة لينقض عليها ويبتلعها . وما ان لحظ النسر فريسته تعوم على سطح المياه حتى شدد جناحيه وشدد عزائمه وهبط فوقها ونشب براثنه فيها . فتسلحت اذ ذاك السمكة في معقلها بسلاحها المائي وانتزعت من النسر سلاحه . يا للمشهد الغريب العجيب . انقضّ النسر ليقتنص فاقتنص هو وخاب امـله . جعلت السمكة تنتف النسر وكادت تخنقه . واتفق ان صياداً مرّ هناك فالقى شبكته وجعل يسحب النسر الى البر مع السمكة . هكذا ندم النسر على تسرعه وطمعه لان براثنه تشبثت في السمكة ولم يقوَ علـى الافلات منها . فكانت عاقبة طمعه وبالاً عليه . »

هذا هو مار اسحاق الملفان والقديس المختار وهذه بعض شذرات من نفثات يراعه السيال . ويا حبـذا لو اقتدى به وبمحبته للمطالعة والتآليف ابناء وطنه في بلادنا السورية واللبنانية . فيطالعون وينشرون هذه الكنوز التي خلفها لنا الملافنة العظام ويزيدون عليها ما يلائم حاجات زماننا الحاضر . والسلام .

استدراك :

بعد كتابة ما سبق عثرنا على مقال لحضرة الاب هنري لامنس المستشرق اليسوعي، نقتصر على ايراد هذه الفقرة منه :

« ومن عجيب الامور ان انتشار لغة الآراميين بلغ على عهد السلوقيين مبلغاً عظيماً ، فاضحت اللغة السائدة في كل آسية السامية اعني في سوريا وما بين النهرين وبلاد الكلدان والعراق وجزيرة العرب ... وكان المسلمون ايضاً يدرسونها لكثرة فوائدها . وقد كتب بها الارمن مدة قبل انتشار الارمنية وحروفها . وقد بلغ امتداد هذه اللغة الى اقاصي الشرق في الصين شمالاً وفي الاقطار الهندية جنوباً ، كما انها بلغت جنادل النيل . فلا نظن ان لغة اخرى حتى ولا اليونانية جارت السريانية في اتساعها ، اللهم الا الانكليزية في عهدنا »

بعض المصادر :

١ً المطران يوسف داود : غراماطيق اللغة الارامية السريانية . الموصل

٢ً الاب بولس الكفرنيسي الراهب اللبناني : غراماطيق اللغة السريانية .

٣ً البطريرك افرام برصوم : تاريخ العلوم والآداب السريانية . حمص .

٤ً تاريخ الازمنة لبطريرك ميخائيل الكبير . طبعة الاب حنا شابو . باريس

٥ً مجلة الآثار الشرقية — ٦ً النشرة السريانية لابرشية حلب . بيروت

٧ً R. Duval : Littérature syriaque : Paris

٨ً R. Duval : Histoire d'Edesse... Paris

٩ً A. Baumstark : Geschichte der syrichen Litteratur. Bonn 1922 .

١٠ً J. Chabot : Littérature syriaque. Paris.

وغيرها قد مر ذكره في الحواشي .

اللغة السريانية وائمتها

فهرست الكتاب

(١) تولت نشرها ايضاً النشرة السريانية لابرشية حلب الارثوذكسية السنة الثالثة ، العدد الاول ص ٥ — ١٠ والثاني ص ٤٨ — ٥٤ سنة ١٩٤٦

(٢) ظهرت ايضاً في النشرة الطائفية لسريان الكاثوليك في القطر المصري . السنة الثالثة ١٩٤٧ ص ٣٤٩ — ٣٥٤

(٣) ظهرت كذلك في النشرة الطائفية لسريان الكاثوليك في مصر . السنة الثانية ١٩٤٧ ، العدد الاول ص ٢٦ ـ ٣٠ .

من آثار المؤلف

اولاً : بالافرنسية :

(1) Liturgie syrienne de S. Jacques : Dans la collection « petit paroissien des liturgies orientales.» Harissa 1941.

(2) L'année liturgique dans l'Eglise syro - antiochienne: thèse de doctorat.

ثانياً : باللاتينية

(3) Leo XIII. Pont. Max. et Copti

ثالثاً : بالايطالية

(4) La chiesa Siro-Giacobita et la sua unione nel concilio Fiorentino-Lateranense. Nella revista : « L'Oriente Christiano e l'Unità della Chiesa. anno III, N. 2. 1938. P. 56...

رابعاً : بالعربية

(5) المعهد البابوي للدروس الشرقية . في مجلة الحب والسلام لابرشية حمص السريانية . السنة ١٩٣٧ . ص ١٠٤ — ١١٠ .

(6) تاريخ الفلسفة العربية طبقاً لمنهاج البكالوريا اللبنانية

(7) الصلوات الطقسية السريانية .

de parti-pris, a bien dit des auteurs Syriens monophysites qu'ils se rapprochent plus que tous les autres (dissidents) de la doctrine et de la pratique de l'Eglise Catholique: « Qui ad doctrinam et praxim Ecclesiæ Catholicæ omnium maxime accedere videntur. » (1)

Tous les Syriens, y compris les Syro-Chaldéens de l'Est et les Syro-Maronites de l'Ouest, devraient collaborer pour la mise en valeur de ce riche patrimoine dogmatique et patristique. Il constitue un terrain d'entente idéal avec nos frères séparés ; pourvu cependant que nous consentions à mettre au second plan les petites différences liturgiques et disciplinaires dûes à une évolution historique très naturelle. En ces temps troubles où toutes les nations éprouvent une vague nostalgie d'entente, d'unité et de centralisation dans tous les domaines, il est de notre devoir de contribuer par nos modestes moyens à l'effort eminement apostolique de l'Union des Eglises. L'entreprise mérite d'être entamée, l'extention du règne de Dieu en dépend :

«... Ut et ipsi in nobis unum sint : **ut credat mundus, quia tu me misisti...** Joa. 17, 21.

A. J. Tomajean

---

(1) Theologia dogmatica Christianorum Orientalium ab Ecclesia dissidentium Tome V, p. 639.

AVANT-PROPOS

Nous sommes heureux de présenter aux lecteurs de langue arabe ces conférences sur les Pères de l'Eglise Syro-antiochienne au IVe et Ve siècles. Elles ont été prononcées à Radio-Beyrouth, et des amis, ayant manifesté le désir d'en avoir le texte, nous croyons faire œuvre utile en accédant à leur vœu.

Pour donner plus de diffusion à ces causeries les RR. PP. Missionnaires Libanais ont eu l'obligeance de mettre à notre disposition leur savante revue AL-MANARAT, organe du patriarcat Maronite. Ce modeste recueil en constitue un tirage à part. La direction de la célèbre imprimerie Maronite de Jounieh voudra bien trouver ici l'hommage de notre profonde reconnaissance.

Sans vouloir faire œuvre d'érudition, ces modestes pages ne prétendent pas moins se tenir au niveau des derniers progrès réalisés par les pionniers des études orientales et patristiques.

A la suite d'une brève notice biographique, nous avons relevé à dessein, corroboré par des citations originales, l'enseignement de chaque auteur sur les questions dogmatiques qui retiennent de nos jours l'attention du public cultivé.

Les chrétiens d'Orient, sollicités par tant de courants doctrinaux exotiques et subversifs, y trouveront la preuve péremptoire que les dogmes qu'ils professent dans l'Eglise Catholique, ont été enseignés par leurs Pères dans la foi. Et ainsi, à travers cette tradition patristique nous rejoignons l'âge apostolique et la prédication évangélique. Nous avons ainsi insisté exprès sur l'union hypostatique, la constitution hiérarchique et monarchique de l'Eglise, les sept sacrements, la Virginité perpétuelle et la maternité divine de Marie, etc...

A notre humble avis, la patrologie syrienne mieux connue pourrait fournir au dogme catholique un appoint appréciable contre les Novateurs anciens et modernes. Le R. P. Jugie, qui s'y connaissait en théologie orientale, et qu'on ne pourrait taxer

L'ABBÉ JEAN TOMAJEAN

DOCTEUR ÈS SCIENCES E. O.
CONSULTEUR DE LA COMMISSION LIT. PATRIARCALE
RECTEUR DE LA MISSION SYRIENNE

TRIPOLI — LIBAN

LITTÉRATURE SYRIAQUE

DU GRAND SIÈCLE PATRISTIQUE

DIX CONFÉRENCES PRONONCÉES A RADIO-BEYROUTH

Publiées par la Revue « AL-MANARAT »

Jounieh — Liban

الاب هذا نوماباه

الدكتور في العلوم الكنسية الشرقية

مستشار اللجنة الطقسية البطريركية

رئيس الرسالة السريانية

طرابلس - لبنان

اللغة السريانية وأئمتها

في القرنين الرابع والخامس

عشر محاضرات أذيعت عن راديو بيروت

نشرتها مجلة المنارة المارونية

جونيه ـ لبنان